بـلاد المجـر والحملة الصـليبية الأولى

د. ليـلى عبد الجواد اسماعيل
كلية الآداب ـ جامعة القاهرة

تمتعت بلاد المجر عشية الحروب الصليبية بفترة رخاء وسلام فى ظل حكم الملك لاديسلاس الأول Ladislas I (١٠٧٧ ـ ١٠٩٥)[١]، وساعد لاديسلاس على الاهتمام بشـئون بلاده الداخلية والخارجية النزاع الذى دار فى ذلك الحين بين البابوية وعلى رأسها البابا جريجورى السابع (١٠٧٣ ـ ١٠٨٥ م) والامبراطورية وعلى رأسها هنرى الرابع Henry IV (١٠٥٦ ـ ١١٠٥ م)[٢] . ويلاحظ أن لاديسـلاس وقف فى هذا النزاع الى جوار البابوية فى عملية التقليد العلمانى[٣] وذلك لاعتبارات سياسية وأخرى دينية . فمن الناحية السياسية لم يكن من مصلحة المجر أن تقيم أية قوة امبراطورية على حدودها ، كما أنه لم يكن هناك ما يدعو لاديسلاس للوقوف الى جانب هنرى الرابع فى سياسته العدوانية تجاه البابوية . أما الاعتبارات الدينية فيأتى على رأسها أن لاديسلاس كان كاثوليكيا ورعا تقيا ، كما كان مدافعا

---

(١) خلف لاديسلاس الأول أخوه جيزا على عرش المجر ، ويعد لاديسلاس من أعظم ملوك المجر ولا تكمن عظمته فى انجازاته لشعبه خلال فترة حكمه فقط ولكن فى صفاته الشخصية كذلك فقد كان مثالا تحتذى به امته . لمزيد من التفاصيل انظر :

Vambery, Hungary, London 1886, P. 110.

(٢) لمزيد من التفاصيل حول هذا الصراع انظر :

سعيد عاشور ، أوربا العصور الوسطى ، جـ ١ ، القاهرة ١٩٨١ م ، ص ٣٥٣ وما يليها .

(٣) يقصد بالتقليد العلمانى أن يقوم الحكام العلمانيون من أباطرة وملوك وأمراء بتقليد رجال الدين مهام مناصبهم الدينية .

انظر سعيد عاشور ، أوربا العصور الوسطى ، جـ ١ ، ص ٣٤٣ .

حقيقا عن العقيدة ، الى جانب أنه ارتبط مع البابا أوربان الثـــانى Urban II (١٠٨٨ — ١٠٩٩ م) بعلاقات ودية ، لم يحدث أى صدام بينهما[٤] • ويستدل على ذلك من خطاب أرسله لاديسلاس الى البابا أعرب فيه عن استعداده التام لتقديم فروض الطاعة والولاء والخضوع للبابوية كما أوضح فى هذا الخطاب أنه مع الكرسى الرسولى قلبا وقالبا ، ونعت البابا فيه بأباه الروحى[٥] •

وظل لاديسلاس على قيد الحياة حينما بدأت تظهر فى غرب أوربا بوادر حركة أخذت شكل الحرب الدينية المقدسة ، حركة قدر لها أن تسيطر على عقول وتفكير العالم الغربى طيلة قرنين من الزمان ألا وهى الحركة الصليبية •

وبدأ بالدعوة لهذه الحركة راهب فرنسى هو بطرس الناســك Pierre L' Ermite [٦] • وكان بطرس هذا قد ذهب الى بيت المقدس فى عام (١٠٩٣ م) ، ويبدو أنه تعرض فى الطريق لضغط من جانب الأتراك السلاجقة المسلمين ، واضطر للعودة الى بلاده دون أن يحقق أمنيته مما ترك أثرا فى نفسه ، أو لعله اغتاظ لرؤية الســيادة الاسلامية على فلسطين والأماكن المسيحية المقدسة ، لذلك عقد العزم

---

(٤) Denis Sinor, History of Hungary, New York 1959, pp. 48 - 49.

(٥) انظر نص هذا الخطاب فى :
Vambery, Hungary, p. 111.

(٦) ولد بطرس الناسك فى مدينة أميان ببلاد الغال (فرنسا الحالية) وكان ناسكا يرتدى مسوح الرهبان ، كما كان واعظا وخطيبا يجيد الاقناع ومن ثم فقد لعب دورا كبيرا فى الدعوة للحملة الصليبية • لمزيد من التفاصيل انظـــر :

وليم الصورى ، الحروب الصليبية ، ترجمة حسن حبشى ، القاهرة ١٩٩١ م ، ص ٩٠ ، قاسم عبده قاسم ، الحروب الصليبية نصوص ووثائق ، القاهرة ١٩٨٥ ، ص ٩٨ — ١٠٣ •

على دعوة المسيحيين لانقاذ تلك الأماكن من أيدى المسلمين(٧) .

وتوقف بطرس الناسك فى بلاد المجر وهو فى طريق عودته الى بلاده ، والتقى بلاديسلاس الأول ملك المجر ، ورسم له صورة للآلام والمعاناة التى يعانيها المسيحيون فى الأراضى المقدسة . وهزت هذه الصورة مشاعر لاديسلاس ، لذلك نذر — على نحو ما جاء فى رواية مجرية كتبت فى القرن ١٢ م — أن يذهب بنفسه الى فلسطين لقتال المسلمين وانقاذ اخوانه المسيحيين(٨) .

وبدأ البابا أوربان الثانى يعقد عددا من المجامع الكنسية للنظر فى كيفية انقاذ الأراضى المقدسة وتخليصها من أيدى المسلمين ، وعقد أول هذه المجامع فى مدينة بياكنزا بشمال ايطاليا — فى مارس من عام ١٠٩٥ م ، وحضر هذا المجمع عدد كبير من الرهبان والأساقفة ورجال الدين والساسة والعلماء(٩) . وتذكر الرواية المجرية أنه بعد عقد هذا المجمع ، والاتفاق على انقاذ الأماكن المقدسة ، قدم وفد من سفراء فرنسا وانجلترا وأسبانيا يعرض على لاديسلاس ملك المجــر قيادة الحملة الصليبية ، ولكن حال الموت بين ملك المجر وبين أن يأخذ على عاتقه القيام بهذه المهمة(١٠) .

---

(٧) سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ، جـ ١ ، القاهرة ١٩٨٦ م ، ص ١٠٨ .

(٨) انظر :
Archives de L'Orient Latin, I, Paris 1881, p. 132.

وانظر ايضا :
Michaud, Histoire des Croisades, I, Paris 1867, P. 68.

(٩) لمزيد من التفاصيل عن هذا المجمع انظر :
Yves Le Febvre, Pierre L'Ermite et La Croisade, Amiens 1946, pp. 83 - 84.

(١٠) انظــر :
Archives de L'Orient Latin, I, 132., Michaud, Op. Cit., I, p. 68., Vambery, Hungary, p. 114.

هكذا يتضح من الرواية المجرية أن قيادة الجيوش الصليبية عرضت على ملك المجر بعد مجمع بياكنزا (مارس ١٠٩٥ م) هذا فى حين أن هناك رواية أخرى جاء فيها : أن البابا أوربان الثانى أرسل سفارة الى لاديسلاس ملك المجر — بعد مجمع كليرمونت (نوفمبر ١٠٩٥ م) تعرض عليه قيادة الحملة • وأن لاديسلاس وافق بالفعل على عرض البابا ، ودعا لصحبته ابن أخيه كونراد Conrad دوق بوهيميا Boheme ، وفى الوقت الذى حدده لاديسلاس للرحيل ، شن Sviatopolk شقيق كونراد هجوما عليه ، مما دفع لاديسلاس للذهاب لمساعدة الأمير الشاب كونراد ، ولكنه مات فى الطريق دون أن يتم انجاز مشروعاته لانقاذ الأراضى المقدسة[١١] •

على أنه من المستحيل أن تكون سفارة البابا أوربان قد وصلت الى لاديسلاس بعد مجمع كليرمونت ، لأن لاديسلاس كان قد توفى فى ٢٩ أغسطس من عام ١٠٩٥ م ، فى حين عقد مجمع كليرمونت فى نوفمبر من نفس العام • ومن ثم فالأكثر احتمالا هو أن تكون هذه السفارة — كما جاء فى الرواية المجرية — قد وصلت بلاد المجر بعد مجمع بياكنزا وليس بعد مجمع كليرمونت •

أما فيما يتعلق بمسألة عرض قيادة الجيوش الصليبية على لاديسلاس ملك المجر فالبعض يتشكك فى هذا الأمر ومن هؤلاء ميشو Michaud الذى يرى أن هذا احتمال ضعيف ، ويتصور أن ملك المجر دعى فقط للمشاركة فى الحملة وليس لتولى قيادتها[١٢] • ومع ذلك فان عرض القيادة على لاديسلاس أمر وارد خاصة وأن الروايتين السابقتين قد اتفقتا على هذا ، وأيضا الأسباب من بينها : ارتباط بلاد المجر فى عهد لاديسلاس بعلاقات مودة وصداقة مع البابوية ، ووقوفها

(١١) انظر هذه الرواية فى :
Archives de L'Orient Latin, I. p. 131.

(١٢) Michaud, Histoire des Croisades, I. p. 68.

الى جانبها فى نزاعها مع الامبراطورية حول مشكلة التقليد العلمانى كما سبق أن ذكرنا • يضاف الى ذلك إيمان لاديسلاس الشديد بالعقيدة المسيحية وتعصبه لها ورغبته فى الانتقام من المسلمين الموجودين فى داخل بلاده وفى خارجها وليس أدل على ذلك من أنه اتخذت فى عهده ولأول مرة اجراءات تعسفية ضد المسلمين فقد أصدر فى عام ١٠٩٢ م أمرا يحتم على جميع المسلمين فى بلاده اعتناق المسيحية(١٣) • هذا الى جانب انشغال ملوك أوربا بمشاكلهم الداخلية والخارجية مما دفع البابا الى أن يرسل من بلاط الى آخر عارضا قيادة الحملة تارة على ملك انجلترا وأخرى على ملك المجر كما ذكر البعض(١٤) •

ولكن اذا كان لاديسلاس قد توفى قبل أن يفى بنذره ويخرج لقتال المسلمين فى الشرق فقد حمل ابنه وخليفته على عرش بلاد المجر وهو الملك كولومان Coloman (١٠٩٥ — ١١١٤ م) اللواء من بعده ، وحافظ على علاقات الود والصداقة مع البابا أوربان الثانى وتبادلا الخطابات من ذلك أن البابا أوربان الثانى أرسل خطابا مطولا الى كولومان فى عام ١٠٩٦ م يشيد فيه بجهود حكام المجر وعلى رأسهم كولومان فى الدفاع عن العقيدة(١٥) • كما سار كولومان على نهج أبيه وسياسته التعسفية تجاه مسلمى المجر بل كان أكثر تعسفا وتشددا حيالهم ، واتخذ العديد من الاجراءات التى تطفح بروح العداء والكراهية للمسلمين فى بلاده(١٦) •

---

(١٣) لمزيد من التفاصيل انظر : ليلى عبد الجواد ، « المسلمون فى بلاد المجر فى العصور الوسطى » بحث منشور فى مجلة المؤرخ المصرى ، العدد السابع لسنة ١٩٩١ م ، ص ٤٠ — ٨١ •

(١٤) انظر
Archives de L'Orient Latin, I. p. 113 .

(١٥) عن نص هذا الخطاب انظر :
Patrologia Latina. T. 151, Urbani Epistole, Cols 480 - 482.

(١٦) لمزيد من التفاصيل انظر : ليلى عبد الجواد ، المسلمون فى بلاد المجر ، ص ٤٠ — ٨١ •

ولعب كولومان دورا هاما فى الدعوة للحملة الصليبية الأولى فقد أصدر مرسوما يدعو فيه عددا كبيرا من الفرسان والجنود للاشتراك فى الحرب الصليبية ، ويظهر ذلك بجلاء من خلال وثيقة على درجة كبيرة من الأهمية ، وهذه الوثيقة عبارة عن خطاب أرسله لايورانت Laurent أسقف ميلكو Milko الى ثلاثة من زملائه الأساقفة وهم أساقفة Keezed Seepus, Orbou — وتقع هذه الكنائس الثلاث فى ترنسلفانيا — يطلب منهم مساعدات من أجل بناء وتشييد مدينـــة وكنيسة ميلكو Milko • ثم يعلن أنه بناء على نصائح البابا أوربان الثانى وعظاته ، وبناء على أوامر الملك كولومان ومرسومه فان عددا كبيرا من الفرسان والمشاة من ميلكو Milko يستعد للرحيل من أجل الذهاب لاسترداد الأراضى المقدسة من أيدى المسلمين وفى ختام هذه الوثيقة دعا أسقف ميلكو رجال الـــدين أن يصلوا من أجـــل نجاح الحمـــلة(١٧) •

وتظهر هذه الوثيقة أن ثمة دور لعبه كولومان ملك المجر فى الدعوة للحملة الصليبية وأن المجريين والترنسلفانيين وأهل ميلكو كانوا من بين الجيوش المساعدة فى الحملة ، ولكن لابد من القول فيما يتعلق باشتراك المجريين الفعلى فى الحرب الصليبية أنه لم يرد ذكر اسم أى مجرى بين الذين خرجوا الى الشرق لقتال المسلمين ، ولعل ذلك يرجع الى مسلك الصليبيين حينما بدأوا يعبرون بلاد المجر فى طريقهم الى الشرق على نحو ما سيتضح لنا فى الصفحات التالية •

ومن المعروف أن بلاد المجر أصبحت خلال القرن الحادى عشر واحدة من المعابر الرئيسية المؤدية الى الشرق ، بل وأمست مفتـــاح الطريق البرى من غرب أوربا الى القسطنطينية ، ففى طليعة هذا القرن راح الحجيج الذين جاءوا من أقاليم الشمال الغربى من فرنسا واللورين

---

(١٧) انظر نص الوثيقة فى :
Archives de L'Orient Latin, I, pp. 131, 133.

وألمانيا يتخذون الطريق البرى رغم وعورته ويعبرون بلاد المجر ثم يدخلون الأراضى البيزنطية ومنها يتابعون رحلة الحج الى الأراضى المقدسة فى فلسطين[١٨] • وحينما بدأت الدعوة للحملة الصليبية الأولى — فى نهاية القرن الحادى عشر — بدأت جموع الصليبيين تفد الى الشرق ، واتخذ بعضها الطريق البرى أيضا مارا ببلاد المجر • وسيحاول هذا البحث كشف النقاب عن مسلك الصليبيين وتصرفاتهم حيال المجريين وبلاد المجر أثناء عبورهم تلك البلاد •

انقسمت الحملة الصليبية الأولى الى قسمين متباينين ومتميزين عن بعضهما تماما القسم الأول : ويمثل حملات العامة والفلاحين ، أما القسم الثانى : فيمثل حملات الأمراء أو الحملات النظامية •

وبالنسبة لحملات العامة فقد اتخذت جميعها الطريق البرى الوصول الى الشرق ومن ثم فقد مرت كلها ببلاد المجر ، أما بالنسبة لحملات الأمراء فلم يسلك منها الطريق البرى سوى حملة جودفرى دى بوايون Godefroy de Bouillon ومن ثم فهى الحملة النظامية الوحيدة التى مرت ببلاد المجر فى طريقها الى الشرق •

أولا — حملات العامة فى بلاد المجر :

بدأت جموع المشتركين فى هذه الحملات من أهل الريف والمدن والقلاع وكافة الأنحاء والبقاع تستعد للرحيل الى الشرق تحت لواء بطرس الناسك • ويروى أوردريك فيتاليس Orderici Vitalis أن بطرس رحل من فرنسا فى شهر مارس من عام ١٠٩٦ م واصطحب معه عدد من مشاهير بلاد الغال (فرنسا الحالية) ووصل فى يوم

---

(١٨) Runciman, "The First Crusader's Journey across the Balkan Peninsula" in Byzantion (1949) p. 209.

فشر ، أوربا العصور الوسطى ، ج ١ ، ترجمة محمد مصطفى زيادة والسيد الباز العرينى ، القاهرة ١٩٦٩ م ، ص ١٨١ — ١٨٢ •

١٢ أبريل ١٠٩٦ م الى مدينة كولونيا Colonia بألمانيا[١٩] • وهناك حدث خلاف بينه وبين أحد قادة الفرق التى انضمت اليه وهو جوتييه المعدم Gautier - Sans Avoir أو والتر المفلس Walter Sans - Avoir والسبب فى ذلك كما جاء فى رواية أوردريك Orderici هو أن بطرس رأى أنه من الأفضل أن يظل فى مدينة كولونيا بعض الوقت لكى يستميل بعض الأمراء الى حملته ، ويجمع أعدادا جديدة من الأتباع ، غير أن الفرنسيين وعلى رأسهم والتر رأوا أنه ليس هناك ما يدعو لبقاء بطرس فى كولونيا مدة طويلة ، ولذلك افترقوا عنه وأخذوا طريقهم الى بلاد المجر[٣٠] •

وانفصلت على هذا النحو أولى حملات العامة عن جموع بطرس الناسك واتجهت صوب بلاد المجر وعلى رأسها والتر المفلس الذى اصطحب معه عددا كبيرا من المشاة ونفر قليل من الفرسان قدرهم البرت دى اكس Albert d'Aix مؤرخ هذه الحملة — بثمانية فرسان فقط[٣١] •

وليس هناك نص يشير الى الطريق الذى سلكه والتر ، ولكن من

---

(١٩) Orderici Vitalis, Historia ecclesiastica, In Patrologia Latina, T. 188, Col. 657.

وانظر أيضا :

Hagenmeryer, Peter Der Eremite, Leipzig (1879), p. 132.

(٢٠) Orderici Vitalis, Historia ecclesiastica, Col. 657, Hagenmeryer, Peter Der Ermite, p. 137.

(٢١) Alberti Aquensis, Historia Hierosolymitana, daus R. H. C. Hist. Occidentaux, T. 4, Paris 1879, p. 274.

وانظر الترجمة الفرنسية فى :

Yves Le Febvre, Pierre L'Ermite, p. 129.

والترجمة العربية فى قاسم عبده قاسم ، الحروب الصليبية ، نصوص ووثائق ، القاهرة ١٩٨٥ ، ص ١٠٥ •

المحتمل أنه بعد أن غادر كولونيا فى ١٥ ابريل اتجه صوب حوض الراين ثم هبط الى الدانوب ، وتابع سيره بعد ذلك حتى وصل الى حدود بلاد المجر فى (٨ مايو ١٠٩٦ م)[٢٢] •

ويصف وليم الصورى William of Tyre طبيعة بلاد المجر حينما وصل اليها والتر بجموعه بقوله : « كانت بلادا وعرة ، لأن المستنقعات تغطى معظم نواحيها وتحيط بها أنهار كثيرة ، ولذلك لا يجد المسافرون وسيلة للوصول الى الملكة أو الخروج منها الا من أماكن قليلة وضيقة للغاية »[٢٣] •

وأرسل والتر المفلس الى ملك المجر وهو كولومان Coloman يطلب منه السماح لجيشه بالعبور عبر أراضيه ، ويستأذنه فى اجتياز حدود مملكته ، ويطلب منه أيضا أن ييسر لرجاله الحصول على حاجاتهم من المؤن • وكان ملك المجر على علم باقتراب الجيش الصليبى وبالهدف الذى خرج من أجله ونظرا لتمسكه الشديد بالمسيحية وإيمانه بالهدف الذى خرجت من أجله حملة والتر — فقد استقبل رسـله بالترحاب وأكرمهم غاية الكرم كما يذكر أوردريك Orderici [٢٤] ومنح كولومان والتر وجموعه العديد من الامتيازات من بينها :

أولا : السماح لوالتر وجموعه بعبور الأراضى المجرية •

ثانيا : منح والتر وجيشه امتياز الشراء من الأسواق العامة أى سمح لهم بحرية التجارة •

---

(٢٢) Chalandon, La Premiere Croisade, Paris 1925, p. 60.

(٢٣) وليم الصورى ، الحروب الصليبية ، ترجمة حسن حبشى ، جـ ١ ، القاهرة ١٩٩١ ، ص ١١٢ ، وانظر ايضا قاسم عبـده قاسم ، الحروب الصليبية ، ص ١٠٥ •

(٢٤) Orderici, Historia, Col. 657.

(٢٥) وليم الصورى ، الحروب الصليبية ، ص ١١٢ — ١١٣ ، Alberti, Historia, p. 274.

قاسم عبده قاسم ، الحروب الصليبية ، ص ١٠٣ ، ١٠٥ •

ثالثا : تزويدهم بما يحتاجون اليه من الأقوات[٢٥] • وبذلك برهن كولومان ملك المجر على حسن نواياه تجاه الصليبيين ومودته وصداقته لهم •

واجتاز والتر بلاد المجر فى أمن وسلام ودون أن يتعرض لأى هجمات من قبل المجريين ، ودون أن يقع أى حادث يستوجب الأسف وعلى نحو ما يذكر رنسيمان[٢٦] • وحوالى نهاية شهر مايو وصل والتر بجيشه الى مدينة مالفيلا Malevilla (سـمـلين Semlin الحالية)[٢٧] حيث تنتهى حدود مملكة المجـر ، ثم عبر نهر الساف بسلام حتى وصل بقواته الى بلجراد Belgrade وأقام معسكره هناك[٢٨] • وهكذا يوحى استقبال الصليبيين فى بلاد المجر انهم لم يشكلوا بعد أى خطر على تلك البلاد التى مروا بها كما يذكر شالندون Chalandon [٢٩] •

ولكن حدث كما يروى البرت اكس Albert d' Aix [٣٠] أن ستة

---

(٢٦) رنسيمان ، الحروب الصليبية ، ج ١ ، ترجمة السيد الباز العرينى ، بيروت ١٩٦٧ م، ص ١٨١ •

(٢٧) تقع مدينة مالفيلا (سملين الحالية) على نهر الدانوب عند التقائه بنهر الساف أى على الحدود بين بلاد المجر والدولة البيزنطية مما جعل لها أهمية كبيرة فى حركة التجارة ، واسم مالفيلا يعنى (مدينة الشؤم أو البؤس) وسماها الصليبيون بهذا الاسم لأنها كانت شؤما عليهم وتعرضوا فيها للعديد من الكوارث • انظر :

Michaud, Histoire des Croisades, I, p. 70.

(٢٨) الترجمة الفرنسية فى :

Albert, Historia. p. 274., Le Febvre, Pierre, p. 129.

والترجمة العربية فى قاسم عبده قاسم ، الحروب الصليبية ، ص ١٠٤ ، ١٠٥ •

وانظر أيضا :

Runciman, The First Crusade Journey, p. 211.

(٢٩) Chalandon, La Premiere Croisade, p. 60.

عشر رجلا من أتباع والتر تخلفوا فى مالفيلا Malevilla لكى يشتروا بعض الأسلحة ، أما وليم الصورى[٣١] فيذكر أنهم تخلفوا لشراء الطعام وغيره من ضروريات الرحلة ، ولم يكن والتر يعرف شيئا عن هؤلاء — كما يروى البرت — لأنه عبر النهر قبلهم بوقت طويل ، وقد قام بعض المجريين بالهجوم على أولئك الأشخاص الستة عشر منتهزين غياب والتر وجيشه ، وأمسكوا بهم واستولوا على ما معهم من أسلحة وعتاد وذهب وفضة ، ثم أرسلوهم الى رفاقهم بعد أن جردوهم من ملابسهم وكل ما معهم (حوالى ١١ يونيه) • ووصل هؤلاء الأشخاص الى بلجراد حيث معسكر والتر ، وأخبروه بما جرى لهم على أيدى المجريين •

ويتابع البرت روايته فيذكر أن والتر استمع الى شكواهم دون مبالاة لأن العودة للانتقام كانت تحتاج الى وقت طويل • أما عن جموع والتر فقد شعرت كلها بتعاطف عميق تجاه رفاقهم ، كما حزنوا حزنا شديدا للمحنة التى حاقت بهم ، الا أنهم أيقنوا — كما أيقن والتر — تمام اليقين استحالة العودة للأخذ بالثأر والتغاضى عن المضرة التى أصابتهم فذلك أجدى من القيام بعمل طائش لا يستطيعون انجازه وبذلك يصبحوا على ما فعلوا نادمين على نحو ما جاء فى رواية وليم الصورى[٣٢] •

ولكن لابد من وقفة أمام حادث سملين هذا ومسلك المجريين تجاه الستة عشر رجلا من أتباع والتر • فمما لا شك فيه أن هؤلاء الأشخاص

---

(٣٠) والترجمة الفرنسية فى Albert, Historia, pp. 274 - 275., Le Febvre, Pierre, p. 129.

قاسم عبده قاسم ، الحروب الصليبية ، ص ١٠٥ •

(٣١) وليم الصورى ، الحروب ، ص ١١٣ ، قاسم عبده : الحروب الصليبية ، ص ١٠٤ •

(٣٢) وليم الصورى ، الحروب الصليبية ، ج ١ ص ١١٣ •

قد تخلفوا للقيام بعمليات السلب والنهب فى ضواحى مالفيلا (سملين) بل وفى سوق المدينة نفسها ، ولم يتخلفوا لشراء الأسلحة أو الطعام وغيره من ضروريات الرحلة كما ذكر البرت ووليم الصورى بدليـــل ما جاء فى روايتهما من أنه عثر معهم على كميات من الذهب والفضة . واذا كانوا قد توقفوا لشراء الأسلحة والطعام فما الذى يدفع المجريون الى مهاجمتهم والامساك بهم وكانوا قد سمحوا لهم بالشراء من قبل — من الأسواق العامة ؟ وتأكيدا لذلك يذكر ميشو Michaud أن الفقـــر والسفاهة كانت قد سيطرت على هـــؤلاء الصليبيين وتناســـوا تلك الامتيازات التى منحهم اياها كولومان ملك المجر ، كما تناسوا حياة الهدوء والسلام وراحوا يرتكبون أعمالا أثارت حفيظـــة المجريين بلاشك ، ودفعتهم للتصدى لهؤلاء الصليبيين[٣٣] .

ويتهم شالندون Chalandon البـــرت Albert بالتحيز للصليبيين ويلقى عليهم اللوم لأنهم كانوا من وراء هذا الحادث وهم المسئولون عنه ، وقد عزز شالندون رأيه بذكر المساوىء وأعمال العنف التى ارتكبها الصليبيون أثناء مرورهم بألمانيا وغيرها من البلاد ، هذا الى جانب أن حملة والتر كانت تتألف من عناصر مختلفة لكل منها أهدافه ومقاصده ومشاريعه فضلا عن طباعهم الحادة واندفاعهم الشديد[٣٤] . وقد أقر وليم الصورى بأن ولتر كان يقود جيشا عنيدا لا يعرف النظام ولا يكترث بما يفعل[٣٥] .

وكان لحادث مالفيلا (سملين) (١١ يونية ١٠٩٦ م) نتائج هامة فقد نبه كولومان ملك المجر الى ضرورة التأهب واتخاذ التدابير الصارمة تجاه بقية الجموع الشعبية القادمة فى الطريق والمتجهة الى بلاده[٣٦] .

---

(٣٣) Michaud, Histoire des Croisades, I. p. 69.

(٣٤) Chalandon, La Premiere Croisade, p. 61, 65.

(٣٥) وليم الصورى ، الحروب الصليبية ، جـ ١ ص ١١٤ .

(٣٦) رنسيمان ، الحروب الصليبية ، الترجمة العربية ، جـ ١ ، ص ١٨٢ . Chalandon, La Premiere Croisade, p. 63.

ومن ناحية أخرى فقد كان لهذا الحادث عواقب وخيمة على مدينة مالفيلا نفسها بعد ذلك ببضعة أيام على نحو ما سنرى •

بطرس الناسك وبلاد المجـــر :

غادر بطرس الناســك كولونيا الأراضى الالمانية بجيشـــه فى (٢٠ ابريل ١٩٠٦ م)[٣٧] • واتخذ نفس الطريق الذى سلكه والتر من قبل بحذاء نهر الراين والذى يؤدى الى نهر الدانوب ، ومن هناك سلك بطرس وجيشه الطريق البرى الذى يسير جنوب بحيرة فيرتو Ferto حتى وصل الى حدود المجر[٣٨] •

ومن أهم الروايات التى عرضت لمسيرة بطرس فى بلاد المجـــر بالتفصيل رواية الأب الفرنسى جوبرت نوجان Guibert de Nogent[٣٩] وروايـــة البـــرت دى أكـــس Albert d' Aix[٤٠] وروايـــة وليـــم الصـــورى[٤١] • ولكن عند دراســـة وتحليل رواية جوبرت دراســـة

---

(٣٧) لمزيد من التفاصيل عن الفترة التى قضاها بطرس فى كولونيا (١٢ أبريل — ٢٠ أبريل) انظر :

Hagenmeyer, Peter Der Eremite, pp. 133 - 136.

(٣٨) رنسيمان ، الحروب الصليبية ، ج ١ ، ص ١٨٢ — ١٨٣ •

(٣٩) انظر الترجمة الانجليزية لرواية نوجان فى :

Saecula Hungariae (1000 - 1196) ed by Gyula Kristo., Budapest 1985., Pernoud, The Crusades, Tran. by Mclead, London 1962, pp. 30 - 31.

والترجمة العربية فى : قاسم عبده ، الحـــروب الصليبية ، ص ١٠٧ — ١٠٨ •

(٤٠) Albert, Historia, in R. H. C., Hist. Occidentaux, T. 4. pp. 276 - 278.

والترجمة الفرنسية فى :

Le Febvre, Pierre, pp. 129 - 134.

(٤١) وليم الصورى ، الحروب الصليبية ، ج ١ ، الترجمة العربية ، ص ١١٥ — ١١٦ •

دقيقة يتضح أنه لم يفرق بين جموع بطرس التى مرت ببلاد المجر وبين تلك الجموع التى مرت بها بعده ، ولكنه دمجهم جميعا دون تفرقة ، اذلك نفضل رواية البرت دى اكس ووليم الصورى لأنها تعطينا تفصيلات دقيقة عن مسيرة بطرس فى بلاد المجر مما يجعلها ذات أهمية كبيرة بالنسبة للبحث •

عسكر بطرس بجيشه قبالة أبواب مدينة أودنبرج OEdenburg [٤٢] وأرسل من هناك رسالة الى كولومان ملك المجر ، يطلب منه فيها السماح له بعبور بلاد المجر ، ومنحه كولومان اذن بالعبور ولكن بشروط منها :

— أن يمر بالبلاد فى هدوء ودون أن يسبب اضطرابا أو يحدث ازعاجا أو يثير أية متاعب •

— وأن لا يقوم جيشه بعمليات السلب والنهب أو يعيث بالأسواق فسادا[٤٣] •

وتؤكد هذه الشروط مدى حرص كولومان وخوفه من أن تتعرض بلاده لما سبق وتعرضت له من سلب ونهب وعبث بالاسواق على يد أتباع والتر السنة عشر •

وقبل بطرس شروط كولومان خاصة وأن الأخير استقبله هو ورفاقه بكرم زائد ، ووعده بأن يقدم له ولجيشه كل ما لديه من بضائع

---

(٤٢) تقع هذه المدينة على سهل محاط بالتلال على مقربة من بحيرة Neusidler كبرى البحيرات المجرية ، وهى مدينة حسنة البناء بها تجارة نشطة ، ويباع فى اسواقها اجود انواع الحيوانات ويسميها المجريون باسم Sopron . لمزيد من التفاصيل انظر :

Michaud, Hist, des Croisades, T. I. p. 69 — 70.

(٤٣) وليم الصورى ، الحروب الصليبية ، ج ١ ، ص ١١٥ ، قاسم عبده ، الحروب الصليبية ، ص ١٠٩ ، ١٥١ .

مجانا أو بأسعار عادلة ، وأن يقدم لهم أيضا كل التسهيلات للحصول على حاجاتهم من المؤن • والتزم كولومان وسكان المجر وقدموا لهم بالفعل طعاما وفيرا وبأسعار معقولة ووفق شروط طيبة[٤٤] •

ودخل بطرس برجاله بلاد المجر ، وكان المشهد مثيرا إذ كان بطرس فى مقدمة الجيش يمتطى حماره وخلفه الفرسان الالمان يمتطون صهوات خيولهم وتتبعهم العربات الثقيلة حاملة المؤن والرجال التى كان بطرس قد جمعها من أثرياء الغرب الأوربى[٤٥] • ووجد أتباع بطرس جميع ضروريات الحياة وبوفرة كبيرة فى بلاد المجر كما يذكر جوبرت نوجان Guibert de Nogent والذى يشهد أيضا بأن المجريين كانوا يقدمون للصليبيين كل ما لديهم للبيع[٤٦] •

وبعد أن اجتاز بطرس بلاد المجر ، ووصل بجيشه الى مدينة مالفيـــلا Malevilla (سملين) فى ٢٠ يونية ١٠٩٦ م سمع هناك اشاعة تقول — كما يروى البرت — أن حاكم هذه المنطقـــة ويدعى Guzh وهو من أتبـــاع الملك كولومان — عقد اتفـــاقا مع نيقتاس Nichita — أمير البلغار والقائد الأعلى ببلجراد من أجل نهب الحجاج وابادة واستئصال الصليبيين وسلب أمتعتهم • ويتابع البرت روايته فيذكر أن بطرس رفض تماما أن يصدق أن هناك مكائد ودسائس يدبرها الكونت المجرى والحاكم البيزنطى المغدر بالصليبيين وخداعهم لأنهم جميعا اخوة فى المسيحية ، ولكنه سرعان ما تأكد من ذلك عندما رأى أسلحة ومتاع رجال والتر الستة عشر معلقة على أســوار مالفيلا

---

(٤٤) وليم الصورى ، نفس المصدر والجزء والصفحة ، قاسم عبده ، نفس المرجع والصفحات .

(٤٥) رنسيمان ، الحروب ، جـ ١ ، ص ١٨٣ ، قاسم عبده ، ماهية الحروب الصليبية ، ص ١١٧ — ١١٨ .

(٤٦) انظر الترجمة الانجليزية فى :
Pernoud, The Crusades, p. 31.

(سملين) رمزا لانتصار المجريين عليهم • عندئذ غضب بطرس غضبا شديدا ، وحرض رفاقه على الانتقام وأمر بالهجوم على المدينة[٤٧] •

يتضح من رواية البرت ما يلى :

أولا : ان حاكم سملين كان يدعى Guzh ، وكان من أتباع الملك كولومان ، ويبدو أنه ارتاع من ضخامة جيش بطــرس فاتخذ اجراءات مشددة ، وذلك بالاتفاق مع زميله نيقتاس — الحاكم البيزنطى لبلجراد والذى عهد اليه بحراسة الجانب الآخر من الحدود • وهنا تجدر الاشارة الى أن الحاكم البيزنطى كان يتمركز فى بلجراد منذ القرنين الحادى عشر والثانى عشر ليقوم بالدفاع عن حدود الامبراطورية البيزنطية هناك ضد هجمات الترك والمجريين[٤٨] •

ثانيا : أن البرت حدد سببين لهجوم بطرس بجيشه على سملين وهمـــا :

الأول : تآمر حاكم سملين Guzh مـــع الحاكم البيزنطى نيقتاس واتفاقهما على الغدر بالصليبيين •

والثانى : أن البرت ألقى على عاتق المجريين المسئولية كاملة فيما حدث لرجال والتر الستة عشر فى سملين من قبل متناسيا أنهم هم

---

(٤٧) Albert, Historia, in R. H. C., Hist. Occidentanx, T. 4, p. 276.

وانظر الترجمة الفرنسية فى :
Le Febvre, Pierre, pp. 131 - 132.

وانظر الترجمة الالمانية فى :
Hagenmeyer, Peter Der Eremite, pp. 142 - 144.

والترجمة العربية قاسم عبده ، الحروب الصليبية ، ص ١٠٧ .

(٤٨) انظر :
Hagenmeyer, Peter, Note 2, p. 143.

رنسيمان : الحروب ، ج ١ ، ص ١٨٣ .

الذين قاموا بعمليات السلب والنهب فى ســوق المدينة ، وأنهم هم المسئولون عن هذا الحادث •

على أن هناك رواية يهودية جاءت على لسان سالومون سيمون Salomon Bar Simeon تذكر سببا آخر لهجوم بطرس على سملين غير السببين اللذين جاء فى رواية البرت وهو : أن الهجوم على سملين حدث نتيجة لمشاجرة وقعت فى يوم ما بين أحد الحجاج (أى الصليبيين) وبين بائع مجرى حول شراء زوج من الجوارب أو الأحذية ، وبدأت هذه المشاجرة بمشادة كلامية ثم بالضربات ، وتحول الأمر الى معركة حقيقية بين الصليبيين والمجريين انتهت بالهجوم على سملين والاستيلاء عليها(٤٩) • ولاشك أن هذه الرواية على درجة كبيرة من الأهمية خاصة أنه كان هناك اتصال دائم بين اليهود فى جميع بلدان الغرب ، ومن ثم فقد يكون سيمون قد نقلها عن اليهود المقيمين فى بلاد المجر •

أما عن تفاصيل الهجوم على مدينة مالفيلا (سملين) فيرويها البرت(٥٠) على النحو التالى :دق الصليبيون الطبول ، واندفعوا صوب أسوار سملين ، وهاجموا المجريين الواقفين على أسوار المدينة بوابل من السهام وبسرعة فائقة ، لدرجة عجزوا معها على مقاومتهم ، فتركوا الأسوار على أمل أن يستطيعوا الصمود داخل المدينة • وعندئذ نجحت قوات بطرس وعلى رأسها جودفرى بوريل Geodfroi Burel (٥١)

---

(٤٩) انظر هذه الرواية فى :

Chalandon, La Premiere Croisade, pp. 65 - 66.

وانظر ايضا :

Runciman, The First Crusader's Journey, p. 212.

(٥٠) Albert, Historia, pp. 276 - 277.

الترجمة الفرنسية Le Febvre, Pierre, p. 132.

Hagenmeyer, Peter, p. 144.

قاسم عبده ، الحروب الصليبية ، ص ١٠٧ •

(٥١) وهو من مواطنى مدينة استامبس Stampis وكان سـيدا وحاملا لراية مائتين من الجنود المشاة •

فى تسلق أسوار المدينة بواسطة سلم تصادف ان وجدوه هناك ، ثم صعد خلفه فارس آخر وهو رينولد البرويسى Reinold de Brois فكانا بذلك أول من تسلق الأسوار وسرعان ما تسابق الفرسان والجنود والمشاة جميعا لدخول المدينة .

وعندما أيقن المجريون أنهم على وشك الهلاك ولوا الفرار بعد أن جمعوا سبعة آلاف رجل تقوى من أجل الدفاع ، ومروا من خلال بوابة أخرى للمدينة تتجه نحو الشرق ، ثم تمركزوا فوق تل شاهق الارتفاع ، وتحصنوا به وتعقبهم الصليبيون ، واقتحموا المدينة . ويتابع البرت(٥٢) روايته فيذكر أن عددا كبيرا من المجريين لم يستطع الفرار بسرعة عبر البوابة الضيقة وسقطوا صرعى أمامها على أيدى الحجاج ، أما الفريق الذى أمل أن يجد ملجأ له فوق قمة التل فقد استأصل الحجاج شأفته أثناء مطاردتهم له ، وسقط عدد من أفراده من فوق التل حيث ماتوا غرقا فى نهر الدانوب ، فى حين حاول بعضهم الهروب بالقوارب .

وعلى هذا النحو لقى معظم سكان المدينة حتفهم اما بالسيف أو بالغرق فى النهر وقدر البرت ووليم الصورى عدد القتلى المجريين بأربعة آلاف مجرى . أما عدد القتلى من رجال بطرس فبلغ مائة رجل فقط بخلاف الجرحى(٥٣) . ويعلق وليم الصورى على كثرة القتلى المجريين بقوله : « كان ذلك عقابا يكافىء جرمهم ويستحقونه بجدارة »(٥٤) .

---

(٥٢) Albert, Historia, P. 277., Hagenmeyer, Peter, p. 144., Le Febvre, pierre, pp. 132 - 133.,

قاسم عبده قاسم ، الحروب الصليبية ، ص ١٠٧ — ١٠٨ .

(٥٣) Albert, Historia, p. 277, Le Febvre, Pierre, p. 133.

، وليم الصورى ، الحروب الصليبية ، جـ ١ ص ١١٦ .

قاسم عبده ، الحروب ، ص ١٠٨ .

(٥٤) وليم الصورى ، الحروب ، جـ ١ ، ص ١١٦ ، قاسم عبده ، الحروب ، ص ١٠٩ .

وبعد أن أحرز الصليبيون هذا الانتصار واستولوا على المدينة ، ظل بطرس مع رفاقه هناك لمدة خمسة أيام ، لأنه وجد وفرة فى الحبوب وقطعان الماشية والأغنام وكميات وفيرة من النبيذ وعدد لا يحصى من الخيول . وفى اليوم السادس بعد معركة سملين حضر الى بطرس رسول بينما هو يقيم فى مدينة Francorum [٥٥] — التى تقع فى مواجهة بلجراد — يخبره بأن كولومان ملك المجر حزه نبأ المذبحة التى جرت على شعبه وأنه يقوم بحشد جيش كبير من كافة أنحاء البلاد ليحارب به الحجاج انتقاما منهم لما ارتكبوه من أعمال العنف ضد رعاياه وما حل بهم من مذبحة بشعة ، وأنه يجب على الحجاج أن يرحلوا بأقصى سرعة ممكنة[٥٦] .

وعندما أحس بطرس بغضب الملك كولومان قرر أن يجمع قواته ويغادر مالفيلا على الفور ، وكان عليه أن يعبر نهر الساف Save بجيشه وبكل ما معه من الغنائم وقطعان الماشية والدواب والخيول التى نهبها ، ولكنه لم يجد على الشاطىء سوى مائة وخمسين قاربا فقط ، ولم يكن هذا العدد يكفى لعبور هذه الأعداد الغفيرة النهر قبل أن يدهمهم الملك المجرى بقواته ، ولذلك تم ربط ألواح خشبية بعضها مع بعضهم ليصنعوا منها قوارب حتى يتمكن الجميع من العبور ، ولكن الأمواج تقاذفتهم هنا وهناك ، وهلك كثيرون منهم (٢٦ يونية ١٠٩٦ م) وبصعوبة بالغة نجح بطرس فى عبور النهر وتابع رحلته[٥٧] .

---

(٥٥) هى مدينة فرانفيل وهى اليوم مدينة Mangielos انظـر : Hagenmeyer, Peter, p. 145, note 2.

(٥٦) Albert, Historia, p. 278., Hagenmeyer, p. 145, Le Febvre, pierre, pp. 133 - 134.

(٥٧) Albert, Historia, p. 278., Hagenmeyer, p. 145, Le Febvre, Pierre, p. 134.

وانظر أيضا : Michaud, Histoire des Croisades, I, p. 71.

وترتب على حادث مالفيلا (سملين) فى ٢٠ يونيه ان بدأ كولومان ملك المجر ينظر بعين الريبة والشك الى تلك الجموع التى خرجت الى الشرق لتحارب المسلمين باسم المسيحية والمسيح ، ولم تتورع فى الوقت نفسه عن ذبح آلاف المسيحيين الأبرياء من رعاياه(٥٨) • ولذلك ستؤثر هذه الحادثة تأثيرا كبيرا على ما سيتلوها من حوادث ، وسوف نرى كولومان يعامل الحملات الشعبية الاخرى معاملة سيئة ، وستكون علاقته بقادة الحملة النظامية مشوبة أيضا بالحيطة والحـذر وعدم الاطمئنان للصليبيين •

حملات العامة من الالمان فى بلاد المجر :

لم تكن حملة بطرس الناسك هى آخر حملات العامة التى وفدت من الغرب إذ قامت، بعدها ثلاث حملات أخرى من الجيوش الالمانية خاصة ، وكانت تحت قيادة كل من : فولكمار Volkmar ، وجوتشالك Gottschalk ، وأميـخ Emich وتكمن أهمية هذه الحملات الثلاث بالنسبة لموضوع البحث فى أنها لم تتعد حدود المجر ، ولقيت حتفها على أعتاب هذه البلاد •

وبالنسبة لحملة فولكمار Volkmar لا نعرف سوى معلومات قليلة فالبرت دى اكس Albert d' Aix — مؤرخ الحملة الأولى — لا يذكره على الاطلاق فى روايته بين قادة حملات العامة إذ لم يذكر من هؤلاء القادة سوى أربعة فقط هم : والتر وبطرس وجوتشالك وأميخ بينما لا يتحدث عن فولكمار — ولا عن حملته — أما عن رواية ايكهـارد Ekkehard (٥٩) فجاءت مختصرة جدا عن هذه الحملة(٦٠) •

---

(٥٨) سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ، جـ ١ ، ص ١٠٩ .

(٥٩) كان ايكهارد راهبا بدير كورفى ، وقد ذهب بنفسه الى الأراضى المقدسة فى عام ١١٠١ م أى بعد نجاح الحملة الاولى .

(٦٠) Ekkehardi, Hierosolymita, (ed) Heinrich Hagenmeyer, Tubingen, 1877, Cap. XII, pp. 122 — 124.

وربما يرجع ذلك لى ما ارتكبته هذه الحملة من أعمال العنف والاضطهاد وما قامت به من مذابح للجاليات اليهودية فى مجدنبرج Magdeburg وفى بــراغ Prague وغيرهما من المدن الالمانية[٦١] .

وفى ضوء معلوماتنا القليلة عن هذه الحملة يمكن القول بأن فولكمار خرج من بلاد الراين فى (ابريل ١٠٩٦ م) — يقود ما يقرب من ١٢ ألف رجل للحاق ببطرس الناسك فى الشرق ، وسلك فولكمار الطريق الذى يجتاز بوهيميا ويؤدى الى المجر ، ووصل فى آخر (مايو) الى براغ ، وفى الثالث من يونيه هاجم جيشه يهود المدينة ، وذبح الكثيرين منهــم وخاصة من رفض التعميد واعتناق المسيحية ، وعجزت سلطات المدينة أن تكبح جماح هؤلاء الصليبيين[٦٢] .

واتجه فولكمار من براغ نحو بلاد المجر ، وحاول — كما يذكر أيكهارد[٦٣] Ekkehard — أن يدخل مدينة نيترا Neitra [٦٤] — وهى أول مدينة مجرية يصادفها الصليبيون داخل المجر ، كما حاول — على ما يبدو — أن يقوم هو وأتباعه بذبح وقتل يهود هذه المدينة

---

(٦١) Duncalf, " Clermont to Constantinople " in Setton, History of the Crusades, Vol. I, p. 262.

ولمزيد من التفاصيل عن هذه الاضطهادات انظر :

قاسم عبده قاسم : « الاضطهادات الصليبية ليهود أوربا من خلال حولية يهودية » . بحث مستخرج من ندوة التاريخ الاسلامى والوسيط (القاهرة ١٩٨٢) ج ١ ، ص ١٥٠ — ١٥١ ، يواكيم برنز ، بابوات من الحى اليهودى ، ترجمة خالد أسعد ، دمشق ١٩٨٣ م ، ص ٢٤٥ — ٢٤٧ .

(٦٢) رنسيمان ، الحروب الصليبية ، ج ١ ، ص ١٩٩ ، ٢٠٣ ، Chalandon, La Premiere, pp. 90 - 91.

(٦٣) Ekkehardi, Hierosolymita, Cap - XII, p. 123.

(٦٤) تقع مدينة نيترا المجرية بين هضاب خصبة وواد واسع على ضفاف النهر ، وتسمى أيضا نورا Nura . لمزيد من التفاصيل انظر : Ekkehard, Hierosolymita, Cap - XII, p. 123, not. 3.

مثلما فعلوا فى براغ ، غير أن المجريين لم يسمحوا لهم بفعل ذلك ، كما أن الملك المجرى كولومان كان قد استفاد من الدروس السابقة فقد علمته الحملات الشعبية التى مرت بأراضيه من قبل ألا يتهاون مع الصليبيين ، هذا الى جانب أن الشائعات التى دارت حول اضطهاد اليهود كانت دائما تسبق وصول الصليبيين •

وبدأ كولومان يتخذ الاستعدادات اللازمة لمواجهة حملة فولكمار فجهز جيشا لحماية الحدود التى أصبحت معرضة للخطر ، ثم خرج بنفسه على رأس حملة للتصدى لجيش فولكمار • والتقى كولومان بقوات فولكمار غير النظامية عند نيترا Neitra ، وما هى الا فترة قصيرة دارت بعدها رحى الحرب بينهما ، واشتبك الصليبيون والمجريون ، ونجح المجريون فى أن يشتتوا شمل فولكمار وأتباعه ، ولقى كثيرون منهم مصرعهم ، بينما وقع آخرون فى الأسر ، أما من بقى منهم فلا نعرف عنهم شيئا ، كما أن مصير فولكمار نفسه مجهول إذ لم يرد له ذكر بعد ذلك[٦٥] •

أما عن حملة جوتشالك Gottschalk فهناك العديد من الروايات تحت أيدينا وأهمها رواية البرت دى اكس Albert d' Aix [٦٦] ورواية وليم الصورى[٦٧] ورواية ايكهارد Ekkehard [٦٨] •

---

(٦٥) انظر :
Ekkehardi, Op. cit., Cap - XII, pp. 123 - 124,
وانظر أيضا : رنسيمان ، الحروب الصليبية ، ج ١ ، ص ٢٠٣ ،
Chalandon, La Premiere, p. 91.

(٦٦) Albert, Historia, pp. 289 - 291.,
Le Febvre, Pierre, pp. 150 - 152.
وانظر أيضا : قاسم عبده ، الحروب ، ص ١١٥ ،

(٦٧) وليم الصورى ، الحروب الصليبية ، ج ١ ، ص ١٣١ — ١٣٢ ، قاسم عبده ، الحروب ، ص ١١٦ — ١١٨ •

(٦٨) Ekkehardi, Hierosolymita, Cap. XII, pp. 124 — 126.
قاسم عبده ، الحروب الصليبية ، ص ١١٦ •

فيذكر البرت أنه لم يكد يمضى وقت طويل على رحيل بطرس الناسك حتى قام قس يدعى جوتشالك — وهو من سكان بلاد الراين — بالدعوة للحرب الصليبية ، والسير على هدى بطرس استاذه الروحى ، ولم يدخر جوتشالك وسعا فى دعوة بنى جلدته الى محاربة أعــداء الرب ، ونجح فى جذب عدد كبير جدا من الناس من مختلف البلاد لدعوته ، وبلغ عدد من جمعهم من أقاليم اللــورين وشرق فرنسا ، وبافاريا وألمانيا خمسة عشر ألفا من الرجال فرسانا ومشاة عاديين ، كما جمع مبلغا كبيرا من المال فضلا عما يلزمه من ضروريات[٦٩] .

واتخذ جوتشالك الطريق الرئيسى الذى سلكه بطرس على امتداد الراين عبر بافاريا ، ووصل الى نوريكوم Noricum — وهى النمسا الحالية[٧٠] . ويتحدث ايكهارد Ekkehard عن الخسائر التى تعرض لها جوتشالك وجيشه فى هذه البلاد حينما مروا بها[٧١] . هــذا فى حين يذكر البرت Albert أنهم كانوا مستعدين بالمال والمؤن ، وواصلوا طريقهم بسلامة حتى وصلوا الى مملكة المجر[٧٢] .

وعندما وصل جوتشـــالك ورجـــاله الى أبـــواب مدينة مرسبورج Merseboury[٧٣] استقبلوا هناك بجفاوة ، وسمح لهم الملك المجرى

---

(٦٩) Albert, Historia, pp. 289 — 290, Le Febver, pierre, p. 150.

وانظر أيضا : قاسم عبده قاسم ، الحروب الصليبية ، ص ١١٥ ، وليم الصورى ، الحروب الصليبية ، ج ١ ، ص ١٣١ .

(٧٠) انظر :

Ekkehardi, Hierosolymita, Cap. XII, p. 124, note 11.

(٧١) Ekkehardi, Op. cit., p. 125.

(٧٢) Albert, Historia, p. 290., Le Febvre, Pierre, p. 150.

وانظر أيضا : قاسم عبده ، الحروب الصليبية ، ص ١١٥ .

(٧٣) مدينة مرسبورج Mersebourg بنيت على نهر ليتا Leitha — أحد فروع نهر الدانوب — ويحيط بالمدينة مستنقعات واسعة من هذين النهرين ، وبالتالى تشكل هذه المستنقعات مانعا طبيعيا يحمى المكان .
=

كولومان بدخول البلاد وبدون صـعوبات ، كما منحهم الاذن بشراء ضروريات الحياة ، واستجاب المجريون من جانبهم الى أوامر ملكهم فقدموا البضائع بأثمان معقولة لى رجال جيش جوتشالك[٧٤] •

وتم اقرار السلام بين الجانبين بأمر من الملك كولومان • وقد أرجع البرت Albert مسلك كولومان هذا الى خوفه من أن يتسبب هذا الجيش الكبير المصاحب لجوتشالك فى إحداث أى خـلاف بين الجانبين[٧٥] • ولكن يبدو أن السبب فى استقبال كولومان لهم بترحاب وتقديم التسهيلات اللازمة لهم انما يرجع الى أن مسلك جوتشالك وجيشه كان مسلكا طيبا فى بداية الأمر •

وعسكر جوتشالك ورجاله فى مكان حصين مرتفع ووضعوا به حامية — على نحو ما جاء فى رواية ايكهارد Ekkehard [٧٦] — وطردوا السكان الذين تولوا مهمة الدفاع عن هذه المنطقة ، غير أن ايكهارد لا يذكر اسم هذه المنطقة كما أن البرت لا يذكر ذلك على الاطلاق • أما Hegenmeyer — الذى قام بنشر نص ايكهارد وعلق عليه فيذكر أن اسمها هو اركس Arx — وهى بلدة تقع على تل مرتفـع فى مدينة مرسبورج Mersebourry[٧٧] •

=

وتسمى هذه المدينة بالمجرية Ovar ، ويسميها البعض Moisson من التسمية المجرية Mosoms وهذا الاسم يطلق على مدينة Wieselboury لمزيد من التفاصيل انظر :

Michaud, Hist. des Croisades, I, pp. 77 — 78.

(٧٤) Albert, Historia, p. 290., Le Febvre, Pierre, p. 150.

وليم الصورى ، الحروب ، ج ١ ، ص ١٣١ ، قاسم عبده ، الحروب الصليبية ، ص ١١٥ ، ١١٦ •

(٧٥) Albert, Historia, p. 290., Le Febvre, Pierre, p. 150.,

قاسم عبده ، الحروب الصليبية ، ص ١١٥ •

(٧٦) Ekkehardi, Hierosolymita, Cap. XII, p. 125,

(٧٧) Ekkehardi, Op. cit., (ed) Hegenmeyer, p. 125. note. 13

وأقام جوتشالك ورجاله فى هذه المدينة عدة أيام ، أسلموا أنفسهم خلالها للسكر والعربدة ، وانغمس البافاريون والسوابيون ومعهم أناس آخرين مما لا يعقلون — على نحو ما يروى البرت ووليم الصورى[٧٨] — فى الشراب يعبون منه عبا ، ونقضوا السلام الذى كان قد استقر بينهم وبين المجريين ، ورويدا رويدا بدأوا يمارسون عمليات السلب والنهب ، ويسرقوا من خمر المجريين ومن غلالهم ومن لوازمهم الاخرى ، كما استولوا بالقوة والعنف على البضائع التى كانت معروضة للبيـــع فى الأسواق العامة • وأخيرا خربوا الحقول وقتلوا الماشية والأغنام ، كما قتلوا كل من حاول مقاومتهم أو التصدى لهم ، وكأناس أجلاف غلاظ فى سلوكهم ، همج غير منظمين — كما يصفهم البرت — ارتكبوا جرائم أخرى يستحى هو أن يذكرها[٧٩] •

ثم يتابع البرت Albert روايته فيذكر — على لســـان شهود عيان كانوا حاضرين — أن الصليبيين ثبتوا شابا مجريا فى مكان السوق بعصاة مرروها خلال جسده[٨٠] • وعلى الرغم من أن كلمات البرت تفيض بالادانة للصليبيين الا أنه يحاول أن يبرر مسلكهم هذا فى ثنايا كلامه إذ يقول انهم ارتكبوا هذه الفعال وهم فى حالة سكر وعربدة ولم يعوا ما كانوا يفعلون •

وعندما علم كولومان ملك المجر بهذه الانتهاكات ووصلته أخبار ما أثاره الصليبيون فى بلاده من اضطرابات استشاط غضبا وقرر

---

(٧٨) Albert, Historia, p. 29., Le Febvre, Pierre, pp. 150 - 151.

قاسم عبده ، الحروب الصليبية ، ص ١١٥ ، ١١٧ ، وليم الصورى الحروب ، جـ ١ ، ص ١٣١ •

(٧٩) Albert, Historia, p. 29., Le Febvre, Pierre, pp. 150 - 151.

قاسم عبده ، الحروب الصليبية ، ص ١١٥ •

(٨٠) Albert, Historia, p. 290., Le Febvre, Pierre, p. 151.

قاسم عبده ، الحروب الصليبية ، ص ١١٥ •

الانتقام لأنه كان من المستحيل — كما جاء على لسان وليم الصورى — أن يغض كولومان الطرف عن مثل هذه الجرائم التى ارتكبها الصليبيون فى حق شعبه ، والا أتهم بالجبن وجلب على نفسه كراهية شعبه له(٨١) . وعلى الفور أمر كولومان أن ينادى فى كافة أرجاء مملكته أن يحمل الجميع السلاح ، للقضاء على هذه الأخطار ، لاسيما وقد ارتكبت فى كثير من النواحى تجاوزات مهلكة وبلغت من العار حدا يفوق الوصف ويعف اللسان عن ذكرها .

ثم قام كولومان بجمع قوات المملكة ، وخرج على رأسهم ليكروا كرة رجل واحد على الصليبيين ، باعتبارهم أعداء يستحقون الاستئصال التام ، وأن الواجب يحتم عليهم أن يجمعوا العزم على الفتك بهم انتقاما لما اجترفوا من الآثام(٨٢) .

والتقى كولومان وجيشه بجوتشالك والصليبيين فى مكان يسميه ألبرت(٨٣) معسكر بلجراد Campus Belgrave ويسميه وليم الصورى بلجراد فقط ويحدد موقعه فيذكر أنه فى وسط المملكة(٨٤) . أما شالندون Chalandon فيذكر الاسم الالمانى لهذه المدينة وهو اشتوهلفيسبرج Stuhlweissemburg وذكر أيضا أنها مدينة تقع الى الشرق من مدينة مرسبورج Mersebourg التى تحصن بها

---

(٨١) وليم الصورى ، الحروب الصليبية ، جـ ١ ص ١٣١ .

(٨٢) وليم الصورى ، نفس المصدر والجزء والصفحة ، قاسم عبده ، الحروب الصليبية ، ص ١١٧ .

(٨٣) Albert, Historia, p. 290.

وقد قام Le Febvre بترجمتها الى الفرنسية بحقول بلجراد Les Champs de Belgrade . انظر :

Le Febvre, Pierre, p. 151.

(٨٤) وليم الصورى ، الحروب الصليبية ، جـ ١ ، ص ١٣٢ ، قاسم عبده ، الحروب الصليبية ، ص ١١٧ .

الجيش الصليبي على مسافة غير بعيدة[٨٥] •

وعلى هذا فلا يقصد ببلجراد هنا أن الصليبيين عبروا بلاد المجر كلها واتجهوا الى بلغاريا فهذا أمر مستبعد لأن جيشا يضم ١٥ ألف رجل من الصعب أن يمر عبر الحدود المجرية دون أن يتعـرض له المجريون أو يقاتلوه خاصة بعد ما ارتكبه الصليبيون من انتهاكات فى معسكرهم ببلدة اركس Arx ولكن المقصود ببلجراد هنا مـدينة مجرية تقع الى جوار مرسبورج Meresbourg كما حدد شالندون موقعها •

وكان الصليبيون قد استعدوا للقاء كولومان ملك المجر ، وهبوا لحمل السلاح عازمين على رد القوة بالقوة ودرأ الخطر عن أنفسهم ، ويذكر وليم الصورى أن المجريين عندما شعروا بأن الصليبيين عازمين على المقاومة الشرسة أدركوا استحالة الاشتباك معهم دون أن يفقدوا الكثيرين من رجالهم ، ذلك لأن هؤلاء المسيحيين (التيوتون) — كما يقول وليم الصاوى — كانوا فى الواقع رجالا ذوى بأس وشجاعة ومهرة فى استعمال السلاح ، ويأبون أن يسلموا أرواحهم دون قتال • ويتابع وليم الصورى روايته فيذكر أن المجريين — جريا على مألوف عاداتهم حاولوا أن ينالوا بالحيلة ما يعجزون عن نيله بالعنف والقوة والسلاح ولذلك أرسلوا سفارة الى جوتشالك وقادة جيشه تعرب عن رغبتهم فى الصلح والسلام[٨٦] •

وحضرت الوفادة المجرية الى معسكر الصليبيين حاملة معها خطاب

---

(٨٥) Chalandon, La Premiere Croisade, p. 93, note I.

وانظر أيضا رنسيمان ، الحروب الصليبية ، ج ١ ، ص ٢٠٤ •

(٨٦) وليم الصورى ، الحروب الصليبية ، ج ١ ، ص ١٣٢ ، قاسم عبده ، الحروب الصليبية ، ص ١١٧ •

من الملك كولومان[٨٧] ويصف وليم الصورى كلمات هذا الخطاب بأنها كلمات معسولة وبها مكر ودهاء[٨٨] ويعرض فيه على الصليبيين أن يسلموا أنفسهم وكل ما معهم من متاع وسلاح دون قيد أو شرط ، والا فلن ينجو أحد منهم من الموت لأنهم فى وسط مملكته ولن يستطيعوا الهرب ، كما أنهم ليسوا فى مثل قوة المجريين العسكرية[٨٩] .

ويروى البرت ووليم الصورى أن جونتشالك أخذ كلمات الملك المجرى مأخذ الجد دون مناقشة ، وراح يقنع رفاقه بضرورة الموافقة على طلب الملك بتسليم أنفسهم بأسلحتهم وكل ممتلكاتهم له ، لعلهم بذلك يكفرون عن الخطايا التى ارتكبوها فى حقه . وفى النهاية قبل الجميع تسليم أسلحتهم للملك على سبيل الترضية وبناء على أوامره الى جانب أن المجريين كانوا مسيحيين واخوة لهم ، وذلك على أمل أن يعيد ذلك الهدوء والسلام مرة أخرى مع أهل البلاد[٩٠] .

ويتابع البرت ووليم روايتهما فيذكر كل منهما أن الصـــليبيين ما كادوا يفرغون من تسليم أسلحتهم وجميع متاعهم لقواد الملك ورسله حتى وجدوا الموت فى انتظارهم بدلا من العطف الذى كانوا يتوقعونه ،

---

(٨٧) عن نص هذا الخطاب انظر :

Albert, Historia, pp. 290 - 291.,

وليم الصورى ، الحروب الصليبية ، جـ ١ ، ص ١٣٢ — ١٣٣ ،

Le Febvre, Pierre, pp. 151 - 152.

قاسم عبده قاسم ، الحروب الصليبية ، ص ١١٧ — ١١٨ .

(٨٨) وليم الصورى ، الحروب ، جـ ١ ، ص ١٣٢ ، قاسم عبده ، الحروب ، ص ١١٧ .

(٨٩) وليم الصورى ، الحروب ، جـ ١ ص ١٣٣ ،

Albert, Historia, p. 291., Le Febvre, p. 152.

قاسم عبده ، الحروب ، ص ١١٥ ، ١١٨ .

(٩٠) Albert, Historia, p. 291., Le Febvre, Pierre, p. 152.

وليم الصورى ، الحروب الصليبية ، جـ ١ ، ص ١٣٣ ، قاسم عبده ، الحروب الصليبية ، ص ١١٥ ، ١١٨ .

إذ قام المجريون بمباغتتهم على غرة منهم ، وكروا عليهم فى الوقت الذى كان فيه هؤلاء عزلا من كل سلاح . وأعمل المجريون فيهم مذبحة من أبشع المذابح فى البعد عن الانسانية ، ودون تفرقة بين الصالح منهم والطالح أو بين الطيب والشرير(٩١) . وأسفر الأمر عن غرق سهل بلجراد فى بحر من الدماء وامتلائه بجثث القتلى ، وهلك جمع جوتشالك ولم يبق منه سوى نفر قليل نجوا من الهلاك الشامل ، وممن شملتهم رحمة الرب فلم تأخذهم سيوف المجريين ، فعادوا الى وطنهم يقصون خبر المذبحة ويروون نبأ المصير المشئوم الذى لقيه اخوانهم(٩٢) . ووقعت هذه المذبحة فيما بين شهرى يونيه ويوليو (١٠٩٦ م)(٩٣) .

أما فيما يتعلق بمصير جوتشالك قائد هذه الحملة فيذكر اريكهارد Ekkehard أنه هرب ملطخا بالعار(٩٤) ، ويبدو أنه وقع فى الأسر بعد ذلك(٩٥) .

وهكذا لم تستطع صلوات الصليبيين ولا دموعهم أن توقف ضربات المجريين على نحو ما يذكر ميشو Michand (٩٦) . حقيقة أن كولومان ملك المجر نجح بالحيلة والخديعة والمكر أن يبيد جيش جوتشالك عن آخره بحيث لم ينج منه سوى نفر قليل ، ولكن لابد وأن نقف موقف

---

(٩١) Albert, Historia, p. 291., Le Febvre, Pierre, p. 152.
وليم الصورى ، الحروب الصليبية ، ج ١ ، ص ١٣٣ ، قاسم عبده ، الحروب الصليبية ، ص ١١٥ ، ١١٨ .

(٩٢) Albert, Historia, p. 291., Le Febvre, Pierre, p. 152.
وليم الصورى ، الحروب الصليبية ، ج ١ ، ص ١٣٤ ، قاسم عبده ، الحروب الصليبية ، ص ١١٥ ، ١١٨ .

(٩٣) Chalandon, La Premiere, p. 93., Duncalf, Clermont to Constantinople, p. 263.

(٩٤) Ekkehardi, Hierosolymita, Cap. XII, p. 126.
قاسم عبده ، الحروب الصليبية ، ص ١١٦ .

(٩٥) رنسيمان ، الحروب الصليبية ، ج ١ ، ص ٢٠٤ .

(٩٦) Michaud, Histoire des Croisades, I, p. 75.

المدافع عنه وأن نلتمس له العذر ولا نحاول أن نلقى عليه التبعة كاملة كما فعل البرت وليم الصورى فقد تناسيا ما فعله الصليبيون فى المجريين من قبل وقد استحى كل منهما أن يرويه ، يضاف الى ذلك أنه قد وصل الى مسامع كولومان فى ذلك الوقت ما حل بمدينة نيترا Neitra المجرية على يد فولكمار وأتباعه(٩٧) مما دفعه الى فقدان الثقة فى الصليبيين والانقضاض عليهم . على أية حال فانه لم يقدر لحملة جوتشالك أن تتابع مسيرتها نحو الشرق ، وكانت خاتمتها فى بلاد المجر .

حملة اميخ فى بلاد المجـر :

خرجت الحملة الالمانية الثالثة فى ربيع عام ١٠٩٦ م تحت قيادة اميخ Emich أو اميكو Emico كونت ليزنجين Leisingen ، وكان اميخ — وفقا لما جاء فى رواية البرت — من النبلاء وصاحب سلطان عظيم فى مينز Mainz بألمانيا حيث كان يقيم(٩٨) . أما ايكهارد Ekkehard فيذكر أن اميخ كونت الأراضى الواقعة حول الراين ، رجل ذو سمعة سيئة للغاية ، ويرجع ذلك الأسلوب الطغيان والظلم الذى كان يعيش به حياته ، وكان يدرك مدى تأثير الخرافة على الجماهير التى هبت للحرب ولذلك زعم أن العناية الالهية اختارته للقيام بهذا العمل المقدس ، وأنه أصبح ذات يوم ليجد صليبا مرسوما على جسده ، وأن الله وعده بأن يكون امبراطورا على القدس ، وصدقه الكثيرون من الناس ونسبوا اليه المعجزات وتزايد عدد المؤمنون به(٩٩) .

---

(٩٧) انظر ما سبق .

(٩٨) Albert, Historia, p. 292., Le Febvre, Pierre, p. 154.,
قاسم عبده ، الحروب الصليبية ، ص ١٢٠ .

(٩٩) Ekkchardi, Hierosolymita, Cap, XII, p. 126.
وانظر ايضا : قاسم عبده ، الحروب ، ص ١١٩ ، حسن حبشى ، الحرب الصليبية الاولى ، القاهرة ١٩٥٨ ، ص ٥٦ .

ونجح اميخ Emich بهذه الطريقة أن يجمع حوله جيشا ضخما وبأعداد لا تحصى من مختلف ممالك الأرض وبالتحديد من ممالك فرنسا وانجلترا والفلاندر واللورين[١٠٠] • ومن بين السادة الذين اشتركوا فى حملته هارتمان ديلينجن Hartmann Dillingen ودرو دى نيسل Dreux de Nesle وكلارمبولت دى فنديول Clairambault de Vendeuil ، ووليم النجار Guillaume Charpentier وغيرهم[١٠١] • وضم جيش اميخ الى جانب هؤلاء السادة جموع من المغامرين والمعدومين من النساء والرجال والشيوخ والاطفال فضلا عن الفلاحين والعامة المسلحين بالفؤوس والعصى والهراوات وما الى ذلك من أدوات[١٠٢] •

وسارت جموع اميخ هــذه تزرع المــوت والدمار فى حوض الراين[١٠٣] ثم تابعت مسيرتها فى اتجاه بلاد المجر ، حتى وصلت الى مدينة مرسبورج Mersebourg أو فيسيلبورج Wieselbourg — قلعة الملك المجرى التى تحميها المستنقعات ومياه نهــرى الدانوب وليتا Leitha — وكان اميخ ورجاله يتوقعون السماح لهم بالدخول من

---

(١٠٠) Albert, Historia, p. 291, Le Febvre, Pierre, p. 153.
قاسم عبده ، الحروب الصليبية ، ص ١١٩ — ١٢٠ .

(١٠١) Albert, Historia, p. 291, Le Febvre, Pierre, pp. 155, 157.
وليم الصورى ، الحروب الصليبية ، ج ١ ص ١٣٤ .
وانظر ايضا :
Chalandon, La Premiere, pp. 95 — 96.

(١٠٢) قاسم عبــده ، الحروب الصليبية ، ص ١١٨ ، الخلفيــة الايدلوجية ، ص ١٦٣ .

(١٠٣) لمزيد من التفاصيل عن الانتهاكات التى ارتكبها اميخ وجموعه ضد يهود الراين انظر :
Albert, Historia, pp. 292 - 293., Le Febvre, Pierre, p. 154 .
قاسم عبده ، الحروب الصليبية ، ص ١١٩ — ١٢٠ .

غير صعوبة ، ولكنهم وجدوا قنطرة المدينة وبوابتها موصدتين بأمر من الملك كولومان ، الذى اتخذ اجراءات أخرى لحماية بلاده ومن بينها أنه وضع حاميات على هذه القنطرة التى تؤدى الى المدينة والقائمة على فرع الدانوب وذلك للحيلولة دون دخول الصليبيين مرسبورج عن طريق هذه القنطرة(١٠٤) .

كذلك أصدر كولومان أوامره بعدم السماح لهـؤلاء الصليبيين بدخول بلاده ، فقد تذكر المذبحة الرهيبة التى تعرض لها جوتشالك ورجاله ، فخاف — كما يروى وليم الصورى — ان هو أذن لهم بالدخول ، أن يندفعوا الى القتال لأخذ الثأر ، ولا سيما وأن خبر هذه المذبحة الدامية قد عم السهل والجبل وتردد فى جميع الآفاق(١٠٥) .

ولما أيقن الصليبيون أنهم لن يستطيعوا عبور بلاد المجر ، أقاموا معسكرهم فى سهل بهذه الناحية ، ثم اتصلوا بمن عهد اليهم بحراسة المدينة وبقواد الفرق القائمة بحماية هذه الناحية ، لكى يسمحوا لهم بارسال رسل من قبلهم الى الملك يلتمسون منه الحصول على اتفاقية تخول لهم عبور أراضيه(١٠٦) ، وبعد عدة أيام عاد الرسل وأعلنوا فشل سفارتهم فشلا تاما ، فقد رفض الملك كولومان طلبهم لأسـباب عدة من بينها :

أولا : تجاربه الأليمة مع قوات الصليبيين الذين عبروا أراضى المجر من قبل .

ثانيا : ما جاء على لسان البرت من أن خوفا شـديدا استبد بالمجريين جميعا بسبب المذابح التى جرت على اخوانهم ، وجثث هؤلاء

---

(١٠٤) وليم الصورى ، ج ١ ، ص ١٣٥ .
Albert, Historia, p. 293., Le Febvre, Pierre, p. 155.
Ekkehardi, Hierosolymita, Cap. XII, p. 129., note 36.

(١٠٥) وليم الصورى ، الحروب الصليبية ، ج ١ ، ص ١٣٥ — ١٣٦

(١٠٦) وليم الصورى ، الحروب الصليبية ، ج ١ ، ص ١٣٦ .

التى انتشرت رائحتها العفنة عندما وصل هذا الجيش الجـديد الى البـلاد(١٠٧) .

ثالثا : أن جيش اميخ كان أكثر قوة وعددا من الجيـوش السابقة ، حقيقة أن البرت يبالغ أيما مبالغة حين يذكر أن عدد هذا الجيش وصل الى ٢٠٠,٠٠٠ شخص من فرسان ومشاة منهم ثلاثة آلاف فارس . فى حين أن معاصرا آخر وهو ايكهارد Ekkehard (١٠٨) . قدر عدد جيش اميخ بـ ١٢ ألف ، فذكر أن جمع اميخ كان يتزايد بانضمام أعداد كبيرة من الرجال والنساء اليه خلال مسيرته حتى وصل الى بلاد المجر ، ولكن هذا لا يعنى أن العدد تزايد لدرجة أن يصل من ١٢ ألف الى ٢٠٠ ألف كما يذكر البرت .

رابعا : ان اشاعة كانت قد سبقت جمع اميخ مؤداها : أنه لم يكن هناك فرق عند التيوتون (الالمان) بين قتل الوثنيين وقتل المجريين ، وجعلت هذه الاشاعة كولومان يحذر منهم كل الحذر كما يذكر ايكهارد Ekkehard (١٠٩) . ويدل ذكر ايكهارد لهذه الاشاعة هنا ، وعدم ذكرها من قبل عند وصول حملات فولكمار وجوتشالك أنها لم تسبق الجموع الأولى مما يجعلنا نعتقد كما يذكر Hagenmeyer (١١٠) أن كولومان لم يصطدم مع الجموع الأولى وكان يسمح لها بعبور أراضيه أما قوات اميخ فهى الوحيدة التى رفض السماح لها بالعبور عندما وطئت أقدامها بلاده .

---

(١٠٧) Albert, Historia, p. 293., Le Febvre, Pierre, p. 155.

(١٠٨) Ekkehardi, Hierosolymita, Cap. XII, p. 127, note 25.

(١٠٩) Ekkehardi, Hierosolymita, Cap. XII., p. 128.

وانظر أيضا : قاسم عبده ، الحروب الصليبية ، ص ١١٩ .

(١١٠) Hagenmeyer (ed), Ekkehardi, p. 128., note 34.

ولم يثن اميخ عن عزمه رفض كولومان السماح له بعبور أراضيه ، بل راح يجمع عدد من مشاهير الفرسان فى جيشه ومنهم توماس دى لافير Thomas de La Fere وكلارمبولت دى فنــديوم Clairambault de Vendeuil ليتشاور معهم ، وأجمعوا أمرهم فى النهاية على تخريب أراضى الملك كولومان المجاورة لمعسكرهم ، واضرام النيران فى ضواحيها ، كما قرروا البقاء فى مكانهم وعدم مغادرته قبل اقامة جسر أو قنطرة على نهر ليتا Leitha وفوق المستنقعات حتى يسهل عليهم عبور النهر ، ومهاجمة مدينة مرسبورج (أو فيسيلبرج) Wieselburg وحصار قلعتها وتحطيمها وبذلك يفتحون ممرا يستطيعون من خلاله عبور بلاد المجر[١١١] .

وأقام الصليبيون فى معسكرهم منذ منتصف يوليو ١٠٩٦ م لمــدة ستة أسابيع لبناء الجسر ، وخلال هذه الفترة ارتكبوا بعض الحماقات ضد المجريين فيروى البرت[١١٢] أنه حدث ذات يوم وفى حوالى الساعة التاسعة خرج كل من توماس Thomas وكلارمبولت Clairambault ووليم النجار مع ثلاثمائة من الفرسان ، وكمنوا فى مكان اعتاد المجريون النزول فيه لحماية أراضيهم حتى تواتيهم الفرصة المناسبة لقتالهم ولسلب ماشيتهم التى كانت ترعى فى الحقول ، ولكن عندما نزلوا على النهر يحدوهم هذا الأمل إذ بكوكبة من رجال الملك كولومان قوامها سبعمائة فارس قد عبرت النهر للاستطلاع ولحماية المنطقة من أن يعيث الأعداء فيها تخريبا ، فصادفوا على غير انتظار جماعة الصليبيين فلم يستطع فرسان الملك تجنبهم كما حال النهر بينهم وبين العودة الى

---

(١١١) Albert, Historia, pp. 293 294.
وليم الصورى : الحروب الصليبية ، جـ ١ ، ص ١٣٦ .
Le Febvre, Pierre, p. 155.

(١١٢) Albert, Historia, p. 294.,
وانظر أيضا : وليم الصورى ، الحروب الصليبية ، جـ ١ ، ص ١٣٦ — ١٣٧ .
Le Febvre, pp. 155 - 156.

الناحية التى جاءوا منها • ولذلك اصطدموا بالصليبيين ولقى جل فرسان الكوكبة مصرعهم ، ولم ينج منهم إلا نفر قليل احتموا بالمستنقعات حفاظا على حياتهم حتى تمكنوا من العودة الى أراضيهم • أما عن قائد الكوكبة المجرية فقد رشقه وليم النجار فى رأسه • وقد أشاع هذا الانتصار روح البهجة والسرور فى المعسكر الصليبى الذى تجمع فيه مع حلول المساء عدد كبير من الأسرى المجريين •

وبعد أن انقضت الأسابيع الستة ، فرغ الصليبيون من إقامة الجسر على نهر ليتا ، ثم عبروه للهجـوم على قلعـة مرسـبورج Mersebourg ونصبوا آلات الحصار حول أسوار هذه القلعة ، ونجحت محاولتهم الجادة فى فتح ثغرات فى أماكن كثيرة من الأسوار مما سهل عليهم اقتحامها(١١٣) •

وعلى الرغم من أن المجريين المحاصرين قاوموا بشدة وانهالوا على الصليبيين بوابل من السهام والحجارة وبكميات من الزيت المغلى — كما يذكر ميشو Michand (١١٤) إلا أن هذا لم يحول بين الصليبيين وبين استمرارهم فى حصار المدينة وقلعتها — وسرعان ما استبد اليأس بنفوس المقيمين فى المدينة ولم يعد لهم أمل فى البقاء على حياتهم(١١٥) • بل أن البرت يذكر أن الملك كولومان وأتباعه وحاشيته قد اعتلوا ظهور خيولهم استعدادا للفرار نحو مملكة روسيا Russie (١١٦) •

أما ايكهارد Ekkehard فيذكر أنه بعد أن تحطمت الأسوار بالفعل بدأ السكان فى الهرب ، وبدأ جيش المدينة المحاصرة يضرم النيران فى مدينته(١١٧) •

---

(١١٣) Albert, Historia, p. 294., Le Febvre, Pierre, p. 156.
وليم الصورى ، الحروب الصليبية ، جـ ١ ، ص ١٣٧ .

(١١٤) Michard, Histoire des Croisades, I, p. 78.

(١١٥) وليم الصورى ، الحروب الصليبية ، جـ ١ ، ص ١٣٧ .

(١١٦) Albert, Historia, p. 294., Le Febvre, Pierre, p. 156.

(١١٧) Ekkehardi, Hierosolymita, Cap. XII, p. 129.

وبتحطيم الأسوار بدا النصر فى متناول أيدى الصليبيين ، ويدلل أيكهارد على ذلك بقوله : ان قادة الصليبيين أخذوا يتشاجرون حول أحقية كل منهم فى ملك المجر بعد أن يتم لهم فتحها ، وكان من بين القادة الذين رشحوا لهذا المنصب اميخ وتوماس وكلارمبولت ووليم النجار وغيرهم[١١٨] .

ولكن عندما أوشك كل شىء أن يتحول لصالح لصليبيين ، وكادت كفة النصر تميل نحوهم بعد أن نجحوا فى اختراق أسوار المدينة ، حدث أن سيطر خوف عظيم ورعب مفاجىء على الجيش بأسره ، بحيث أخذ الجنود فى الفرار مثل خراف تبعثرت وهاجمها الذئاب ، تاركين وراءهم معظم متاعهم وأسلحتهم ومعداتهم ، باحثين عن ملجأ يحتمون به هنا وهناك على نحو ما يذكر البرت ووليم الصورى[١١٩] .

وعندما رأى المجريون القوات الصليبية تلوذ بأذيال الفـــرار ، انطلقوا انطلاق الغالبين يتعقبون هذه القوات مع ملكهم كولومان ، ولم يكتفوا بمطاردتهم بل انقضوا عليهم وراحوا يقتلونهم ، ولم يستطع عدد كبير من هؤلاء الفارين المقاومة واضطر للاستسلام ، فى حين غرقت أعداد أخرى منهم فى نهر الدانوب ، وهلك كثيرون فى المستنقعات . أما القادة فقد نجوا بفضل سرعة جيادهم . أما عن اميخ — قائد هذه الحملة فقد فر مع بعض رفاقه على طول الطريق الذى جاء منه عائدا الى المانيا حيث أنهى أيامه هناك ، فى حين فر كل من توماس وكلارمبولت ووليم النجار وكثيرين من رجالهم الى جنوب ايطاليا[١٢٠] . وعلى هذا

(١١٨) Ekkehardi, Op. cit., Cap. XII, p. 129, note 40.

(١١٩) Albert, Historia, p. 295, Le Febvre, Pierre, p. 156.

وليم الصورى ، الحروب الصليبية ، ج ١ ، ص ١٣٧ .

(١٢٠) Albert, Historia, p. 295, Le Febvre, Pierre, pp. 156 - 157.

وليم الصورى ، الحروب الصليبية ، ج ١ ، ص ١٣٧ — ١٣٨ .

Ekkehardi, Hierosolymita, Cap. XII, p. 130, note, 47.

وانظر أيضا : قاسم عبده ، الحروب الصليبية ، ص ١٢١ .

Michaud, Hist. des Croisades, I. p. 78.

النحو نجحت الحامية المجرية فى القضاء على جماعة اميخ قضاءا مبرما ، وردت الصليبيين على أعقابهم .

ويلاحظ أن البرت ووليم الصورى وايكهارد الذين ذكروا تفاصيل حصار مدينة مرسبورج Mersebourg المجرية ، لم يفصحوا عن السبب الحقيقى للخوف والفزع الذى أنتاب الصليبيين غجأة ، واستولى عليهم وأحال انتصارهم الى هزيمة ، وجعلهم يتوقفون عن الحصار ويفرون تاركين التحصينات نصف مخربة ومخلفين وراءهم أمتعتهم وسلاحهم ومعداتهم . فقط أرجع كل منهم هزيمة الصليبيين وفرارهم الى التدخل الالهى ولاضطهادهم اليهود واراقة دماء اخوانهم المسيحيين . فيذكر البرت : « وهكذا نعتقد أن يد الرب كانت ضد الحجاج الذين ارتكبوا كثيرا من الآثام والمعاصى ، والذين ذبحوا اليهود جشعا وطمعا فى المال »(١٢١) .

أما وليم الصورى فيذكر بالحرف الواحد : « أنه لم يكن ثمة سبب وجيه إلا أن تكون آثامهم الجمة وخطاياهم الكثيرة قد جلبت عليهم سخط الله لأنهم كانوا قد غرقوا الى الأذقان فى لجة الكفر الذى يزلزل بالخوف قلوب أصحابه مصداقا لكلمات الحكيم : « يهرب الجبان دون أن يكون أحد يطارده »(١٢٢) .

وكذلك يذكر ايكهارد : « وهكذا بدأ بنو جنسنا الذين كانوا غيورين للرب دونما شك ... يضطهدون المسيحيين الآخرين ... وبفضل رحمة الرب فقط نجوا من إراقة دم اخوتهم ، كما تحرر المجريون أيضا »(١٢٣) .

---

(١٢١) Albert, Historia, p. 295, Le Febvre, Pierre, p. 157.
قاسم عبده ، الحروب الصليبية ، ص ١٢١ .

(١٢٢) وليم الصورى ، الحروب الصليبية ، ج ١ ، ص ١٣٧ .

(١٢٣) Ekkehardi, Hierosolymita, Cap. XII, pp. 130 - 131.
وانظر ايضا : قاسم عبده ، الحروب الصليبية ، ص ١١٩ .

وكان لفشل حملة اميخ وانهيارها على أبواب بلاد المجر بعد هزيمة وفشل حملتى فولكمار وجوتشالك تأثير كبير فى العالم المسيحى فى غرب أوربا سواء على المسيحيين المؤمنين أم على البابوية نفسها . فقد رأى معظم المسيحيين الأتقياء فى هذا الاخفاق علامة على غضب الرب فى علاه ، وعقابا صبه الله على هؤلاء الذين اضطهدوا اليهـود وقتلوهم كما قتلوا اخوانهم فى المسيحية ، فى حين أعلن البعض الآخر أن الحملة كلها كانت عبثا وطيشا أحمق[١٢٤] . واعتبروا أن فشـل الحملات الشعبية هذه ما هو إلا نقطة البداية نحو تحطيم فكرة الحرب الصليبية ، ورأوا فى الكوارث التى تعرض لها الصليبيون دليلا على أن الله ينكر هذه الحرب خاصة وأنها لم تحقق حتى ذلك الحين ما تردد صداه فى مجمع كليرمونت من عبارات أهمها : « هكذا أراد الله »[١١] .

أما عن البابوية فقد ثارت ثائرتها وراحت تلقى تبعة فشل حملات العامة هذه على عاتق كولومان ملك المجر ، ونظرت الى دوره فى حماية بلاده والدفاع عنها — والذى يستحق عنه كل تقدير — بعين الغضب ، ووضعت كولومان وشعبه موضع المعارضة من جانب الرأى العام فى العالم المسيحى كله[١٢٦] .

حملة جودفرى دى بوايون فى بلاد المجر :

فى الوقت الذى قام فيه المجريون بالقضاء على حملات العامة من الالمان كان يجرى تنظيم الشطر الثانى من الحملة الصليبية الأولى وهو الشطر المعروف بالحملات النظامية أو حملة الأمراء . وتألفت هذه الحملة من عدة حملات أيضا لكل منها طابعها المميز ولكل منها

---

(١٢٤) انظر : يواكيم برنز ، بابوات من الحى اليهودى ، ص ٢٤٧ ، قاسم عبده : الحروب ، ص ١١٩ .

(١٢٥) رنسيمان ، الحروب الصليبية ، جـ ١ ، ص ٢٠٥ .

(١٢٦) Vambery, Hungary, p. 114.

اتجاه معين ، ولذلك لن يعـرض البحث سـوى لحملة واحدة فقط من هـذه الحملات وهى الحملة التى خـرج جـودفرى دى بوايـون Godefroy de Bouillon على رأسها (١٢٧) ، وذلك لأنها الحملة الوحيدة التى اتجهت نحو الشرق متخذة الطريق البرى ومارة ببلاد المجر ، أما سائر الحملات النظامية الاخرى فقد سلكت طريق البحر وكذلك لم يقدر لها الاحتكاك بالمجريين •

قام جودفرى بوايون باتخاذ الاستعدادات وجمع الأموال اللازمة لتجهيز حملته ، ثم غادر اللورين فى (أغسطس ١٠٩٦ م) بعـد أن استأذن سيده الامبراطور هنرى فى الرحيل الى الشرق • وكان بصحبة جودفرى أخيه بلدوين وعدد غير قليل من كبـار الكونتات والسادة الاقطاعيين من بينهم : رينار كونت تول Reinard Toul ، وبلدوين كونت هينـوت Baudouin de Hainaut وبطـرس ستناى Pierre de Stenay وبلدوين دى بورج Baudouin de Bourg ، هنرى ديش Henri d' Esch وأخيـه جودفـرى وغـيرهم كثيرين (١٢٨) •

وسلكت حملة جودفرى بوايون نفس الطريق الذى سلكته من قبل حملات العامة التى قادها والتر المفلس ، وبطرس الناسك ، وفولكمار

---

(١٢٧) عن جودفرى بوايون ومكانته فى الغرب انظر :
Robert, Historia Iherosolimitana, in R. H. C. T. 3, pp. 733 — 734.

ووليم الصورى ، الحروب الصليبية ، جـ ١ ، ص ١٤٩ ،
Le Febvre, Pierre, p. 172.

رنسيمان : الحروب الصليبية ، جـ ١ ، ص ٢١٠ — ٢١٢ ، جوزيف نسيم ، العرب والروم فى الحملة الصليبية الأولى ، ص ١٥٣ — ١٥٤ •

(١٢٨) Albert, Historia, p. 299, Le Febvre, Pierre, p. 173.,

وليم الصورى ، الحروب ، جـ ١ ، ص ١٤٥ ، قاسم عبده ، الحروب الصليبية ، ص ١٥٠ ،
Chaladon, La Premiere, p. 112.

وجونتشالك واميخ ، فبعد أن قضى جودفرى بضعة أسابيع فى المسير ازاء الراين ، هبط الى الدانوب ثم شارف حدود المجر ، حقيقة أن الطريق الذى سلكه الصليبيون عبر المجر كان أقصر الطرق ، ولكنه أمسى الآن مسدودا فى وجوههم بسبب ما أنزلته الحمـلات السابقة بسكان هذه البلاد من المضرة والشرور التى جاوزت كل مدى ، وبسبب ما ارتكبه الحجاج الذين سبقوهم من جرم ، فأصابوا به الناس من غير اثم اقترفوه • ومن ثم فقد واجه جودفرى صعوبة بالغة فى الحصول على عطف ملك المجر كما جاء على لسان وليم الصورى(١٢٩) •

وصل جودفرى بجيشه سالما فى ٢٠ سبتمبر ١٠٩٦ م الى مـكان يسمى تولنبورج Tollenburg — على نهر ليتا Leitha فى مقاطعـة أوستريا • ويذكر وليم الصورى(١٣٠) أنهم عندما وصلوا الى هـذه المدينة انتابتهم كآبة شديدة حين عرفوا بأنباء الكوارث التى حلـت بجيش جونتشالك واميخ ، وتشاوروا فيما بينهم حول الطريق الآمن الذى ينبغى عليهم أن يسلكوه ليؤدوا المهمة التى أخذوها على عاتقهم خير أداء • وفى النهاية اتفقوا بالاجماع على ضرورة ارسال سفارة الى كولومان ملك المجر للاغراض التالية :

أولا : التعرف على الأسباب التى أدت الى هلاك جيوش اخوانهم — الذين سبقوهم فى الوصول الى بلاد المجر — على هذه الصورة •

ثانيا : ايجاد فرصة للتفاهم وعقد اتفاق سلام مع الملك المجرى ، وطرح الشكاوى المتعلقة بالمنازعات السابقة جانبا •

ثالثا : طلب الاذن من الملك المجرى بالسماح لهم بعبور أراضيه ، وترتيب ضمان عبورهم بحرية وسلام ، خاصة وأنه أصبح من الصعب

---

(١٢٩) وليم الصورى ، الحروب الصليبية ، جـ ١ ، ص ١٣٨ .

(١٣٠) وليم الصورى ، نفس المصدر والجزء ، ص ١٤٦ ، وانظر أيضا : قاسم عبده ، الحروب الصليبية ، ص ١٥٠ .

عليهم البحث عن طريق آخر بعد أن بدأت مسيرتهم بالفعل ، فضلا عما يترتب عن ذلك من خسارة ومشقة عظيمة[١٣١] .

واختير لرئاسة هذه السفارة النبيل جودفرى ديش Geoffroi d' Esch وذلك لأنه كانت تربطه بكولومان ملك المجر صداقة ومودة منذ سنوات طويلة . واصطحب جودفرى معه اثنا عشر فارسا من ذوى المكانة العالية الرفيعـــة من بينهـــم : بلدوين ســـتافلوت Baudouin de Stavelot [١٣٢] .

وعندما مثل جودفرى بحضرة الملك كولومان حياه التحية الواجبة ثم قام بأداء المهمة المنوط بها فى أمانة ، وعندما أذن له الملك بالكلام ، عرفه أنه مبعوث من قبل جودفرى بوايون ومن فى صحبته من القادة الآخرين ثم عرض عليه الأسباب أو الأغراض التى جاءت من أجلها سفارته وعلى رأسها الاستفسار عن الأسباب التى دفعت المجريين الى إبادة الحملات الشعبية السابقة والقضاء عليها قضاء مبرما[١٣٣] .

وكان رد كولومان على هذا الاستفسار على النحو التالى :

« ... إن الذين سبقوكم من أتبـــاع بطرس الناســـك وذيول جوتشالك ومن بعدهم ممن حاولوا الاستيلاء قسرا على احدى قلاعنا القائمة على أطراف المملكة ، واقتحام مملكتنا بالعنف ، لم يكونوا فى الواقع أتباع المسيح ولا أهل لحمل هذه الصفة ... » ثم بدأ الملك

---

(١٣١) وليم الصورى ، الحروب الصليبية ، ج ١ ، ص ١٤٦ ، وانظر ايضا : قاسم عبده ، الحروب الصليبية ، ص ١٥٠ — ١٥١ .

(١٣٢) وليم الصورى ، الحروب الصليبية ، ج ١ ، ص ١٤٦ ، وانظر ايضا : قاسم عبده ، الحروب الصليبية ، ص ١٥٢ .

(١٣٣) لمزيد من التفاصيل عما جاء على لسان جودفرى انظر :
Albert, Historia, pp. 300 - 301., Le Febvre, Pierre, p. 174,

وليم الصورى ، الحروب الصليبية ، ج ١ ، ص ١٤٧ ، وانظر أيضا : قاسم عبده ، الحروب الصليبية ، ص ١٥١ .

يعرض لمسلك هذه الجيوش السيء فى بلاده وكيف أنهم ردوا إحسانهم أسوأ رد ، وفتكوا بأهل بلاده ، وأشعلوا فيها النيران ، وقاموا بعمليات السلب والنهب مما دفعه الى أن يوصد أبواب بلاده فى وجه هـذه الجماعات حتى لا يتعرض شعبه لنكبات أخرى على أيديهم(١٣٤) .

وبعد أن قدم كولومان هذا الرد ، أمر باستضافة الرسل أحسن ضيافة كما أمر بمعاملتهم بوافر الاحترام ، حتى يستطيع — بعد مشاورة رجاله — ايفاد الرسل الى قادة الحملة يحملون اليهم الرد المناسب . ثم بعث كولومان أخيرا رسالة الى جودفرى ، أعرب فيها عن حرصه على كسب صداقته ، واستعداده لأن يمد معهم حبال المودة والعطف ، وأن يرتبط معهم برباط واحد . وعرض كولومان فى ختام رسالته — على جودفرى أن يحضر بنفسه الى قلعة سيبرون Cyperon ليعقد معه مجلسا حتى يتم الوصول من خلاله الى اتفاق سلام يرضى عنه الطرفان(١٣٥) .

وعادت سفارة جودفرى بعد أن أمضت ثمانية أيام فى بلاط كولومان وبصحبتها سفراء من لدنه يحملون رسالة ملكهم الى جودفرى قائد الحملة . وبعد أن استمع جودفرى الى وفادة الملك كولومان وتشاور مع أصدقائه ، قرر الذهاب فى اليوم المحدد الى المكان المحدد لمقابلة كولومان مصطحبا معه ثلاثمائة من فرسانه اختارهم من الصفوة المنتقاة من رجاله ومن بينهم : بطرس ستناى Pierre de Stenay

(١٣٤) وليم الصورى ، الحروب الصليبية ، جـ ١ ص ١٤٧ — ١٤٩ ، Albert, Historia, p. 301., Le Febvre, Pierre, p. 174.

وانظر ايضا : قاسم عبده الحروب الصليبية ، ص ١٥١ — ١٥٢ .

(١٣٥) حول نص رسالة كولومان لجودفرى انظر :

Albert, Historia, pp. 301 - 302.,

Le Febvre, Pierre, pp. 175 — 176.

وليم الصورى ، الحروب الصليبية ، جـ ١ ، ص ١٤٩ ، وانظر : قاسم عبده ، الحروب الصليبية ، ص ١٥٢ .

ورينار تول Reinard Toul ، وجارنير جراى Garnier de Grai وبعد أن عبر جودفرى وفرسانه جسر مدينة أودنبرج Odenburg — فوق نهر ليتا — وجدوا هناك الملك كولومان فى انتظارهم ويذكر البرت ووليم الصورى ، أن الملك استقبلهم أروع استقبال وحفل جودفرى بأسمى آيات الترحيب ، وأبدى كل منهما لصاحبه الصداقة الحميمة[١٣٦] •

وانتهى اللقاء الأول بين كولومان وجودفرى بدعوة وجهها كولومان لجودفرى من أجل أن يأتى ومعه اثنى عشر رجلا من أتباعه ، لينزل ضيفا عليه فى بلاطه • ورحب جودفرى بهذه الدعوة وقبلها • وتم اللقاء الثانى بين جودفرى وكولومان فى القصر المجرى ، وبعد أن قضى جودفرى وأتباعه عدة أيام فى قصر الملك تركت أثرا طيبا فى نفسه تم الاتفاق على ما يلى :

١ — اقرار السلام من جديد بين الجانبين وطرح جميع الضغائن جانبا •

٢ — السماح للصليبيين باجتياز أراضى المجر ، ولكن بشروط وضمانات من أهمها تقديم رهائن من النبلاء وعلية القوم ، وطلب كولومان أن يكون بلدوين شقيق جودفرى بوايون — قائد الحملة — وزوجته وأهل بيته من بين الرهائن • ويرجع تمسك كولومان بأن يكون بلدوين من الرهائن الى أنه كان يعتقد — على نحو ما ذهب رنسيمان[١٣٧] — أن بلدوين هو أخطر شخصية فى جيش جودفرى • أما عن حرص كولومان على أخذ هذه الضمانات فيرجع الى أنه تعرض من قبل للعديد من الكوارث على أيدى الصليبيين مما جعله حذرا جدا

---

(١٣٦) Albert, Historia, p. 303, Le Febvre, Pierre, p. 176.,

وليم الصورى ، الحروب الصليبية ، ج ١ ، ص ١٥٠ ، وانظر أيضا : قاسم عبده ، الحروب الصليبية ، ص ١٥٣ •

(١٣٧) رنسيمان ، الحروب الصليبية ، ج ١ ، ص ٢١٤ •

هذه المرة فى تصرفاته نحوهم ، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى حتى يضمن مزيدا من الأمن لبلاده ، وحتى لا تغرى هذا الجيش كثرته وشجاعته فيسبب مضايقة للملك ولشعبه تحت أية ذريعة[١٣٨] .

٣ — أن يتعهد كولومان من جانبه بامداد الجيش الصليبى بحاجته من المؤن مع تقديم الطعام اللازم لجند الحملة .

وقد التزم الطرفان بالبنود السابقة ، فرحب جودفرى بشروط كولومان وضماناته وقبلها ، وقدم بالفعل عددا من الرهائن على رأسهم أخيه بلدوين وأهل بيته — رغم رفض بلدوين فى أول الأمر أن يذعن لرغبة الملك المجرى . كما أوفى كولومان بعهده فى اخلاص — كما يشهد بذلك مؤرخو الحملة — فسمح أولا للصليبيين بدخول مملكته ، كما أصدر مرسوما يحث فيه على تقديم الأغذية الضرورية للقوات الصليبية فى كل ناحية يمرون بها من نواحى مملكته ، وبسعر معقول وألا يطفف عليهم فى الكيل والميزان . كما أمر بأن يصحب الصليبيين سوق يبتاعون منها ما يريدون . وأمر جودفرى بدوره بأن نادى المنادون فى أرجاء المعسكر بألا ينهب أحد شيئا ما أو يلجأ الى العنف واستخدام الشدة مع من يأتون الى الجيش ، والا كان الموت جزاءه وكذلك مصادرة كل ما بيده . كما أمر بأن تجرى معاملات البيع والشراء فى جو من السلام والمحبة الاخوية[١٣٩] .

واجتاز الصليبيون بلاد المجر فى هدوء وسلام لم يعكر صفوه أحد من الطرفين ، وحرص الملك كولومان على أن يكون الجيش الصليبى دائما تحت سمعه وبصره . لذلك سار على رأس قوة كبيرة من حرسه

---

(١٣٨) Albert, Historia, p. 303, Le Febvre, Pierre, pp. 176 - 177.

وليم الصورى ، الحروب الصليبية ، جـ ١ ، ص ١٥٠ ، وانظر أيضا : قاسم عبده ، الحروب الصليبية ، ص ١٥٣ .

(١٣٩) وليم الصورى ، الحروب الصليبية ، جـ ١ ، ص ١٥٠ .

الخاص برفقة هذا الجيش واصطحب معه الرهائن ليكون على استعداد لاخماد أية اضطرابات أو شغبا قد يحدث • وان دل ذلك على شيء فانما يدل على عدم اطمئنان الملك المجرى لهذه الجمـوع الصليبية رغم ما أخذه عليها من شروط وضمانات •

ووصل الصليبيون أخيرا الى بلاد مالفيلا (سماين) فى نوفمبر ١٠٩٦ م وقضوا بها ثلاثة أيام للحصول على حاجتهم من المؤن والمواد الغذائية ، ثم توقفوا على شاطىء نهر الساف Save حتى يتمكنوا من اعداد القوارب الكافية لنقل أعدادهم الغفيرة وعبورها هذا النهر • وفى الوقت نفسه أرسل كولومان ألف فارس كاملى التسليح من أجل حراسة الضفة الاخرى للنهر تحسبا لأى كمين من جانب العدو وحتى يتيسر على الجيش الصليبى أن يجد مكانا هادئا تتوفر فيه أسـباب الراحة بعد عبوره النهر(١٤٠) •

وما كاد الصليبيون يعبرون نهر الساف حتى أسرع الملك كولومان بالتقدم نحوهم مصطحبا معه حرسه ، وسلم بلدوين وزوجته وبقية الرهائن وفق ما اتفق عليه من البداية ، بل وأصبغ نعمه على جودفرى وقادة الصليبيين وخصهم بالغالى والثمين من الهدايا ، ثم قفل راجعا الى قصره • بينما تابع جودفرى وحملته رحلتهم حتى وصلوا الى الأراضى البيزنطية(١٤١) •

وتعد حملة جودفرى هى نهاية المطاف بالنسبة لصليبى الحملة الأولى فى بلاد المجر وذلك لأن الحملات النظامية الاخرى لم تمر بتلك البلاد لأنها سلكت طريق البحر • وقد رأينا مدى حرص الملك المجرى كولومان هذه المرة وكيف أنه أخذ العديد من الضمانات على الصليبيين خشية أن تتعرض بلاده من جديد التخريب والتدمير والسلب والنهب ، كذلك حرصه على مرافقة الجيش الصليبى حتى يطمئن على خروجه

---

(١٤٠) وليم الصورى ، الحروب الصليبية ، ج ١ ، ص ١٥٠ ، وانظر أيضا : قاسم عبده ، الحروب ، ص ١٥٣ .

من بلاده دون أضرار • ولابد من الاشارة الى أن جودفرى بوايون قائد الحملة قد نجح فى كبح جماح جنوده والتزم بتقديم كل الضمانات الملك المجرى ولذلك مرت حملته بسلام فى أراضى المجر •

وفى ختام هذا البحث يتضح أن دور المجر فى الحملة الصليبية الأولى كان ذا شقين وان غلب أحدهما على الآخر • ويتمثل الشـق الأول فى أن بعض حكام المجر ومنهم لادسلاس أبدى اسـتعداده للخروج الى الشرق وتولى قيادة الحملة لانقاذ اخوانه المسيحيين ، كما لعب البعض الآخر ومنهم كولومان دورا فى الدعوة لهذه الحملة • ويتمثل الشق الثانى — وهو الغالب — فى أن بلاد المجر كانت طريقا رئيسيا لعبور الجيوش الصليبية التى اتخذت الطريق البرى الى الشرق ورأينا كيف استقبل الملك المجرى كولومان جموع الحملات الشعبية الأولى وعلى رأسها والتر المفلس وبطرس الناسك بالترحاب وأكرمهم غاية الكرم ومنحهم العديد من التسهيلات والامتيازات لعبور بلاده فى أمن وسلام وللحصول على حاجتهم من المؤن ، ولكن عندما كشف الصليبيون النقاب عن الوجه القبيح لحملاتهم ، وتعرضت المدن المجرية على أيديهم لعمليات السلب والنهب والتخريب والتدمير ، وتعرض المجريون أنفسهم للقتل والذبح وسفك الدماء ، دفعهم ذلك للتصدى لهذه الجموع دفاعا عن أنفسهم وعن أوطانهم ، وترتب على ذلك أن لقيت الحملات الالمانية حتفها على حدود المجر ولم يقدر لها أن تستكمل رحلتها الى الشرق ، ويدعو ذلك الى القول بأن فشل هذه الحملات هو نقطة البداية نحو تحطيم فكرة الحرب الصليبية وهى لا تزال فى المهد وسقوط الشعار الذى رفعته الحملة عاليا ألا وهو شعار الدين •

قائمة المصـــادر والمراجـــع

أولا — المصـــادر والمراجـــع الأجنبية :

— Albert Aquensis, Historia Hierosolymitana dans Recueil des Historiens des Croisades, Historiens Occidentaux., T. 4, Paris 1879.

— Archives de L'Orient Latin, T. I, Paris 1881.

— Chalandon, La Premiere Croisade, Paris 1925.

— Denis Sinor, History of Hungary. New York 1959.

— Duncalf : " The First Crusade : Clermont to Constantinople " in Setton, History of the Crusades, Vol. I, Philadelphia 1955.

— Ekkehardi, Hierosolymita, (ed) Heinrich Hagenmeyer, Tubingen 1877.

— Hegenmeyer, H, Peter Der Eremite, Leipzig 1879.

— Le Febvre, Yves, Pierre L'Ermite et La Croisade. Amiens, 1946.

— Michaud, Histoire des Croisades, T. I. Paris, 1867.

— Orderici Vitalis, Historia Ecclesiastica, In Patrologia Latina, T. 188 (ed) Migne 1855.

— Pernoud, The Crusades, trans - by ' Mclead, London, 1962.

— Runciman, " The First Crusuder's Journey across the Balkan Peninsula ". In Byzantion (1549) pp. 207 - 221.

— Saecula Hungariae (1000 - 1196) (ed) by Gyula Kristo, Budapest 1985.

— Urbani, B, Pontificis Romani Epistole, Diplomata, Sermones In Patrologia Latina, T. 151, (ed) Migne 1853.

— Vambery, Hungary, London 1886.

ثانيا ــ المصــادر المعــربة :

ــ وليم الصورى ، الحروب الصليبية ترجمة حسن حبشى ، الجزء الأول ، القاهرة ١٩٩١ م ٠

ثالثا ــ المراجع العربية والمعربة :

ــ جوزيف نسيم ، العرب والروم واللاتين فى الحــرب الصليبية الأولى ، اسكندرية ١٩٦٣ م ٠

ــ حسن حبشى ، الحرب الصــليبية الأولى ، القاهرة ١٩٥٨ م ٠

ــ رنسيمان ، الحروب الصليبية ، ترجمة السيد الباز العرينى ، جـ ١ ، بيروت ١٩٦٧ م ٠

ــ سعيد عاشور ، أوربا العصور الوسطى ، جـ ١ ، القاهرة ١٩٨١ م ٠
ــ الحركة الصليبية ، جـ ١ ، القاهرة ١٩٨٦ م ٠

ــ فشر ، أوربا العصور الوسطى ، ترجمة محمد مصطفى زيادة والسيد الباز العرينى ، جـ ١ ، القاهرة ١٩٦٩ م ٠

ــ قاسم عبده قاسم : الحروب الصليبية ، نصــــوص ووثائق ، القاهرة ١٩٨٥ م ٠

ــ ماهية الحروب الصليبية ، الكويت مايــو ١٩٩٠ م سلسلة عالم المعرفة العدد ١٤٩ ٠

— الخلفية الأيدلوجية للحروب الصـــليبية ، دراسة عن الحملة الصليبية الأولى ١٠٩٥ — ١٠٩٩ م ، القاهرة ١٩٨٣ م •

— « الاضطهادات الصليبية ليهـــود أوربا من حولية يهودية » بحث منشور فى ندوة التاريخ الاسلامى والوسيط ، المجلد الأول ، القاهرة ١٩٨٢ م •

— ليلى عبد الجواد اسماعيل : « المسلمون فى بلاد المجر فى العصور الوسطى » مقال منشور فى مجلة المؤرخ المصرى ، العدد السابع ، ص ٤٠ — ٨١ ، القاهرة ١٩٩١ م •

— يواكيم برنز : بابوات من الحى اليهودى ، ترجمة خالد أســـعد عيسى ، دمشق ١٩٨٣ م •